443

HARLEQUIN

روايات أحلام

سرّ الأميرة

كارا كولتر

www.elromancia.com
مرمورية

سرّ الأميرة

لو لم تكن شوشونا أميرة...
لو كانت مجرد فتاة عادية...
ولكن كيف يفكر جاك رونان بذلك! فهو في النهاية جندي موكل بحمايتها. عليه ألا ينسى ذلك فتبقى الحدود واضحة بينهما. هي أميرة وهو جندي و مسافات كثيرة تفصل بينهما. كما أن شخصاً آخر ينتظرها ليتزوج بها.
كان يتمنى حصول أعجوبة تحملها الى عالمه. لكن الهوة بينهما لا يمكن اجتيازها. وقوى تتجاوز سيطرتهما تفصل بينهما. فماذا بإمكان الحب أن يفعل؟

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الامارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-411-4

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Her royal wedding wish
First Puplished in Great Britain 2008
Harlequin Mills & Boon Limited
©Cara Colter 2008
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 411 - 4

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950 - 453115 -1-0961 - بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequinالعالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequinهي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

كارا كولتر

تعيش كارا كولتر وبطل حياتها الحقيقي، «روب»، في كولومبيا البريطانية. ويتشارك المنزل معهما قرهما «هانتر». تمتلك كارا وزوجها سبعة أحصنة، من بينها مهران: «واينر» و«شنيتزل».

«زوجي روب متعهد بناء ويكره المنازل القديمة. كل ما توحي به بالنسبة إليه هو مجرد جدران غير مرتبة تحتاج إلى الترميم وذات مرة سأل ملك أحد المنازل التاريخية «روب» عما يظن أن منزله بحاجة اليه، فنظر إليه روب في عينيه وقال: «عود ثقاب». أما انا فرومنسية جداً وأعشق المنازل القديمة. أعتقد بأنها تاريخنا وبأن جدرانها محملة بالأغنيات والروايات».

١ - زفاف الأميرة

أخذ جايك رونان نفساً عميقاً مهدئاً، تماماً كما يفعل قبل إطلاق الرصاص أو القفز أو الهجوم.

ما من سبيل للشعور بالراحة. كان قلبه يخفق كغزال على بعد ثلاث خطوات من الذئب وراحتا يديه تتصببان عرقاً.

كان يشتهر ببرودة أعصابه وقد خدَمه هذا الصيت طوال السنوات الثلاثة الماضية ولم يخذله مرّة. فقد استعاد طائرة مخطوفة من بين أيدي الأشرار وقفز عن علو عشرة آلاف قدم في الظلمة فوق أرض معادية وأنقذ أربعة عشر تلميذاً من بين أيدي الخاطفين.

لكن ما من خطر أثار فيه مثل ذاك الإحساس الذي يشعر به في حفلات الزفاف. وهز كتفيه وأخذ نفساً عميقاً آخر.

تململ بضيق الكولونيل غراي بيترسون صديق رونان القديم والمتقاعد حديثاً وسبب تواجد رونان على جزيرة براناشا الاستوائية الصغيرة الشبيهة بالجنة. وتمتم بكلمات لم تقل قط من قبل في كنيسة ثم سأله: «هل تنتابك تلك الأحاسيس المقززة يا رونان؟».

كان رونان معروفاً بين مجموعة الرجال الأشداء ورفاق السّلاح بحدسه، بحاسته السادسة التي تحذره من قرب حدوث خطب ما.

فاجاب متعمداً الهمس: «لا أحب حفلات الزفاف وحسب. إنها تشعرني بالتوتر».

فكر غراي في كلام رونان مستغرباً وثم قال له مطمئناً: «جايك

www.elromancia.com

لست أنت من يتزوّج. أنت عضو في فريق الأمن وحسب، حتى أنك لا تعرف هؤلاء الناس».

ولم يكن رونان هو العريس يوماً، لكن طفولته تلطخت بمحاولات أمه الاستقرار مع الرجل المناسب. وقد انتهى توقه الشديد للتمتع بدفء العائلة الذي أخفاه تحت طبقات من المشاكسة أثناء سنوات المراهقة بخيبات أمل وذلك قبل حلول موعد زفاف جديد لأمه مع رجل آخر سيلعب دور أبيه المؤقت.

أخيراً وجد رونان العائلة التي يسعد في أحضانها بعد أن مشى على خطى أبيه المتوفي ورغم اعتراضات أمه الكثيرة المليئة بالدموع. وانضم إلى صفوف الجيش الأسترالي بعد تخرجه من الثانوية مباشرة. وأخيراً، وجد التناغم والاستقرار وروح الزمالة الحقيقية في حياته. بعدئذ، تمّ اختياره لينضم إلى وحدة عسكرية متعددة الجنسيات شكّلت الفريق الأول لمواجهة الأزمات العالمية. ويقع مقر الوحدة في انكلترا وهي تتألف من نخبة رجال الوحدات الخاصة حوال العالم، وتضم أعضاء من القوات البريطانية الخاصة والفرقة الأجنبية في الجيش الفرنسي والقوات الأميركية وقوة الدلتا.

وباتت عائلته مجموعة متماسكة من المحاربين. وكانوا يذهبون إلى حيث تخشى الملائكة أن تتوجّه ويقومون بأعمال لا يرغب أحد في القيام بها، ويعملون في أخطر مناطق العالم وأكثرها صعوبة. كما يقومون بحماية الشخصيات أثناء إنعقاد القمم، والمؤتمرات ومحادثات السلام، ويعملون على تفكيك العبوات وجمع المعلومات واستعادة الطائرات المخطوفة وانقاذ الرهائن وتفجير مخابئ أسلحة العدو. إنهم يقومون بأكثر الأعمال صعوبة في العالم ويفعلون ذلك بسرعة وهدوء وفي الخفاء، فما من احتفالات وتوزيع ميداليات أو حفلات على شرفهم أو أيّ عرفان بالجميل.

لكنهم كانوا يخضعون لتدريبات قاسية، ويمضون ساعات وأشهر طويلة مضنية في العمل بالخفاء وفي شروط خطرة تفوق خطورتها حدّ التلاعب مع أفعى سامة.

عندما التحق رونان بهذه الوحدة قال نعم مدوية. كانت رد رجل يعرف تماماً ماذا يريد، ويدرك تماماً متى تتقاطع مهاراته الطبيعية مع الفرصة الممنوحة له. ومنذ اليوم الأول له في الوحدة التي حملت اسم اكسكاليبر، أدرك أنّ هذا ما ولد ليفعله.

لم يفكّر يوماً في عائلة غير رفاق السلاح فعمله ليس عادلاً بحق الزوجات اللواتي سيترتب عليهن البقاء في المنزل. فرجل مثله ملتزم بنمط حياة خطر ليس مستعداً لتحمّل مسؤولية زوجة وعائلة.

ويا لها من مصادفة سعيدة بالنسبة لرجل يمقت حفلات الزفاف! فسر رونان الخفي والدفين هو أن المحارب الجسور الذي يخشى شيئاً، والذي يُعتبر مفخرة وحدة اكسكاليبر، قد يغمى عليه رعباً من فكرة الوقوف كعريس أمام المذبح في الكنيسة ينتظر عروسه.

ما من أحد يقف هناك حتى الآن، لكن التقاليد ستنقلب قليلاً في هذه الجزيرة الصغيرة فستأتي العروس بعد دقائق. وقد قيل له إن العروس ستحضر أولاً لانتظار عريسها.

أعلنت الموسيقى الجميلة عن وصولها، وتناهى إلى سمع رونان حفيف القماش فاسترق نظرة إلى ممرّ الكنيسة ليرى الحرير العاجي متجهاً نحوهم ببطء. كان الفستان وهو زي الزفاف التقليدي يغطي العروس من رأسها حتى أخمص قدميها.

لم يفهم كيف يمكن لثوب بهذه الحشمة أن يكون مثيراً، لكنه كان كذلك. فالفستان يلتصق بحنايا جسم العروس الناعم، مظهراً رقة تحرّكاتها، وهو مطرّز بخيطان ذهبيّة تعكس الأضواء وآلاف اللالئ التي تلتمع بألوان قوس قزح.

الخوف من تعرّض هذه العروس الجميلة، شوشونا أميرة براناشا، للأذى جعل رونان يتمركز قرب المذبح.

منذ تقاعده من الوحدة، عمل غراي كرئيس فريق الأمن الموكل حماية عائلة براناشا الملكية. ومع اقتراب موعد حفل الزفاف، طلب من رونان أن يأخذ إجازة ليساعده في تأمين حماية إضافية. في بادئ الأمر، وصف له العمل كنزهة على جزيرة جميلة حيث الصبايا الفاتنات والطقس الرائع، مهمة سهلة لا تتطلب الكثير من الجهد.

ولكن ما أن خرج رونان من الطائرة، حتى بدأ فريق الأمن يتصدى لعدد من التهديدات التي تستهدف الأميرة مباشرة ما جعل غراي يتوتر. كان الكولونيل متأكداً من أنّ المؤامرات تحاك من داخل القصر نفسه وأن ثمة خرق أمني خطر ضمن فريقه.

قال غراي بتوتر: «انظر إلى السيدة التي تلمس باقة الأزهار».

استدار رونان وقد أدهشته الصعوبة التي لاقاها في رفع عينيه عن العروس المضيئة ليرى امرأة تقف في أحدى جوانب الكنيسة تداعب باقة من الأزهار. كانت تتلفّت بعصبية وتوتر واضحين.

ومن دون سابق إنذار، تشنجت معدته فجأة وكأنه يهبط في الأفعوانة.

ها هو الاحساس بالخطر!

تحقّق رونان من مسدسه المعلق بحزام متدلٍ من كتفه. ولاحظ غراي ذلك فأطلق لعنة متلمساً بدوره سلاحه المخفي.

وشعر رونان بنفسه يتحوّل من رجل يمقت حفلات الزفاف إلى محارب حقيقي. لقد تدّرب على مواجهة لحظات كهذه.

بدا وكأن ثوب العروس يهمس بكلام غير مسموع فيما هي تشق طريقها نحو المذبح.

لكزه غراي بكتفه وقال: «أبقِ عينيك عليها، وأنا أتولى أمر السيدة

مع الأزهار».

أومأ رونان موافقاً، واقترب أكثر من المذبح محاولاً قدر المستطاع عدم لفت الأنتباه. بات بإمكانه الآن أن يشتم رائحة العروس المغرية والمحرّمة في آن تماماً كرائحة الأزهار التي تملأ هذا المكان الأستوائي المذهل وتنشر عبقها في الأجواء.

وتوقفت الموسيقى. ولمح السيّدة التي تحمل الأزهار تطاطئ رأسها. وفكر في أن الخطر أصبح وشيكاً وشعر بعضلاته تشتد وتنقبض فاستعد.

لم يحصل شيء، بل ظهر كاهن عجوز بوجهه الهادئ، وعينيه اللامعتين بروح القناعة والفكاهة. كان يلبس الرداء الحريري الأحمر التقليدي لكهنة براناشا.

شعر رونان بتوتر غراي الواقف إلى جانبه وتبادلا النظرات. كانت يد غراي داخل سترته. ولم ينخدع بمنظر رفيقه الهادئ، فعلى الرغم من ملامحه وتعابير وجهه الثابتة شعر رونان بتبدل مزاج غراي وأدرك أنه مستعد للتصرف. إنها حمى المعركة!

وتصاعدت حدّة الأحاسيس في أحشاء رونان وانقسم دماغه إلى جزئين، أحدهما يراقب العروس والكاهن، وسيأتي العريس لاحقاً. يشتم رائحة عطر الأميرة ويدقق في تفاصيل فستانها الحريري. أما الجزء الآخر من رونان فأصبح يقظاً ومستعداً.

رفعت العروس النقاب عن وجهها فاختفى لجزءٍ من الثانية المحارب الذي فيه، إذ لم يكن مستعداً لرؤية ملامح شوشونا أميرة براناشا الناعمة والرقيقة.

كانت التحضيرات لحماية الزفاف تتضمن التعرف إلى كافة أفراد العائلة الملكية، لاسيما العريس والعروس لكنها لم تتضمن أي لقاء

وقد رأى صور شوشونا وحصل على القليل من المعلومات: إنها شابة وجميلة ومدلّلة. لكن حتى تلك الصور لم تحضره للقائها شخصياً، بوجهها الأسمر الرائع الملامح الذي يحيط به شلال لامع من الشعر الأسود الأملس الناعم، وعينيها اللوزيتين الزرقاوين اللتين لم يسبق له أن رأى مثلهما سوى عند الخليج حيث كان يتزلج أيام شبابه.

رمقته بنظرة سريعة ثم نظرت إلى آخر القاعة.

رفع عينيه عن مظهرها الرائع بصعوبة. ينبغي ألاّ يفقد تركيزه على المهمة ولو لجزء من الثانية. وصدر صوت من أعماق دماغه يحذره.

وفي اللحظة عينها، فتح الباب الخلفي للكنيسة مصدراً صريراً خافتاً فنظر رونان باتجاهه. لكن من دخل لم يكن الأمير بل رجلاً يرتدي ملابس سوداء ويغطي وجهه ويحمل مسدساً.

ساعات التدريب الطويلة جعلت رونان قادراً على التكيّف مع الظروف. وفي تلك اللحظة، سيطرت عليه غرائزه. باتت مهمته الوحيدة حماية الأميرة. وفي لحظة باتت هي محط اهتمامه الوحيد، وسيبذل حياته لو اضطر لتظل هي بأمان.

لم يساوره حيال ذلك أي تردّد أو شك أو جدال.

بات هدفه الوحيد والملح إبعاد الأميرة شوشونا عن الخطر، ما يعني أن الدقائق القليلة التالية ستتطلّب الكثير من الحركة والجهد. واندفع نحوها ملاحظاً اتساع عينيها لبرهة قبل أن يلقيها أرضاً ويغطيها تماماً.

وعلى الرغم من شعوره بالخطر، لم يسعه إلا الإحساس بجمال مفاتنها، إحساس تجاوز ما تدرّب عليها كمحارب. كان شعوراً أقوى، شعوراً بدائياً ذكورياً، حاجة إلى حماية ضعفها ورقتها بقوته.

انطلقت إحدى الرصاصات. فساد الهرج والمرج في المكان فيما قال غراي: «نحن نحميك يا رونان فأخرجها من هنا».

رفع الأميرة لتقف على قدميها جاعلاً من جسده حاجزاً بينها وبين المعتدي مبقياً يده على رقبتها ليحني رأسها برفق بهدف حمايتها.

وصل والأميرة إلى المذبح الجمري فاحتميا به قبل أن يدفعها إلى داخل غرفة الكاهن حيث حطم زجاج النافذة الوحيدة ورفع الأميرة شوشونا لتمرّ من خلالها فيما هو يحميها من الزجاج المحطم بذراعه العارية.

علقت تنورة فستانها فتمزقت بمعظمها وكان هذا حسناً إذ تمكنت من أن تركض كالغزال من دونها. وجدا نفسيهما في أحد الممرات فأبقى يده عند أسفل ظهرها وهو يقودها بعيداً عن الكنيسة. وقد سمع من حيث هما طلقات نارية ثلاث ومزيداً من الصراخ.

كان الممر يؤدي إلى ساحة مضيئة تزيّنها أشجار النخيل والأزهار الزهرية اللون الكبيرة. ولمح أحد سائقي سيارات الأجرة جالساً في المقعد الأمامي يستمتع بأشعة الشمس غافلاً عما يدور حوله، وعربة أخرى هي عربة سياحية يجرها حمار يبدو ناعساً بقدر سائق سيارة الأجرة.

واتخذ رونان قراره بسرعة فسحب السائق من مكانه ودفع الأميرة إلى الداخل بقوة فحطّت في مكانها بجانب السائق. واندفع بعدها إلى الداخل، وأدار السيارة وانطلق مسرعاً.

وفي غضون ثوان خفت صوت الرصاص واحتجاجات السائق فيما استمر هو في قيادة السيارة غير آبه، يستعيد في ذهنه خارطة طرق الجزيرة وكأنه جهاز كومبيوتر.

سألته: «هل تظن أن الجميع بخير؟ إني قلقة بشأن جدّي».

كانت انكليزيتها لا عيب فيها وصوتها برقّة شال حريري التفّ حول عنقه، ولفته قلقها على جدّها بدلاً من عريسها فيما أثار صدق مشاعرها شعوراً بالرقة فيه.

www.elromancia.com

لم تكن الرقة جزءاً من عمله وهو يرى أنها ليست جزءاً من طبيعته أيضاً، وقد تدرَّب على محوها بحيث يتمكن من اتخاذ قرارات دقيقة بعيداً عن أي تأثر عاطفي.

أجابها بخشونة: «لم يصب أحد بأذى».

- أنى لك أن تعرف؟ سمعت أصوات طلقات رصاص أثناء رحيلنا.

- صوت الرصاص يختلف عندما يصيب أحدهم.

بدت مشككة غير مصدقة، وسألته: «هل تسنّى لك التدقيق في ذلك مع كل ما كان يحدث؟».

- أجل، سيدتي.

حسناً، لم يكن يصغي تماماً لكنه سمع. ولم يسمع صوت طلقة أصابت أحداً. إنها التفاصيل! لقد تدرّب أعضاء إكسكاليبر على الانتباه للتفاصيل التي يغفلها الآخرون ومن المذهل كيف أن الأمور التي تبدو تافهة للبعض يمكن أن تعني الفرق بين الحياة والموت.

قالت بصوت رقيق ملؤه القلق: «جدي يعاني من مشكلة في القلب».

- آسف لذلك.

كان يعلم أن جوابه خال من الصدق وقد شعر بذلك فعلاً في تلك اللحظة. إنه يهتم بسلامة شخص واحد فقط هو الأميرة ولم يشأ أن يشتت انتباهه أو يلهيه عن هدفه ويهدر طاقته أيّ أمر آخر.

رن الهاتف الخلوي في جيبه وكأنه يتحدى قوة تركيزه. وكان قد أقفله أثناء الزفاف لأن أمه اعتادت أن تترك له رسائل رهيبة تدور كلها حول وجود رجل جديد في حياتها وعرض زواج مختلف.

أخطأ أحد أفراد وحدة الإكسكاليبر حين أعطاها رقم هاتفه الخاص مخالفاً بذلك تعليماته الصارمة. نظر إلى شاشة الهاتف فأنبأه

بأن الرقم يعود لغراي وليس لأمه.

أجاب: «نعم؟».

- هل كل شيء على ما يرام؟.

- أورورا بخير.

سمّى الأميرة باسم بطلة قصة الأميرة النائمة، لئلا يفهمه أي متنصّت محتمل.

- ممتاز. لقد أمسكنا الهدف. لم يصب أحد بجروح. كان الرجل يطلق النار في الهواء. أي نوع من المجانين هو؟

وخطر له أن التفسير الوحيد هو أنه يودّ تخريب حفل الزواج، وسأل: «أتريدني أن أعيدها؟ لعلهم يتمكنون من إكمال حفل الزفاف».

إنها التفاصيل مجدداً! وأجفلت الأميرة قليلاً.

- كلا. ثمة خطب هنا. ما كان لأحد أن يخترق أمن حفل الزفاف. لا بد أن الفاعل شخص من داخل القصر. لذا، لا أريدها أن تعود حتى نعرف من هو. هل يمكن أن تبقيها آمنة حتى أعرف أكثر عن الموضوع؟.

فكّر رونان في ما قاله. إنه غريب عن الجزيرة ولديه بين يديه سيارة مسروقة، وأميرة.

كان يعلم أن وظيفته لا تعرف الكثير من الظروف المثالية بل هي لعبة مفتوحة الاحتمالات، ترتبط بثقة المرء بقدراته الخاصة. وأجاب: «أجل».

- لا يمكنني الوثوق بهاتفي لكن يمكننا استعمال هاتفك مرّة أخرى لتعيين موعد اللقاء.

- حسناً.

أوشك أن يقفل الخط لكنه نظر إلى تعابير وجهها المتشنج فسأل:

www.elromancia.com

«هل جدّها بخير يا غراي؟».

أجاب غراي بعد أن خفض صوته: «منزعج قليلاً لكنه بخير. يبدو نوعاً ما راضياً عن عدم إتمام الزفاف».

أعاد رونان الهاتف إلى جيبه وقال لها: «جدّك بخير».

- إنها أخبار رائعة. أشكرك!.

- لكن لا يمكنني إعادتك بعد.

اختفى بعض التشنج الذي أصابها وكأنها عادت تتنفس بعد أن حبست أنفاسها طويلاً. والتمعت عيناها الملبدتان بغيوم القلق عندما ابتسمت.

كما لمح نظرة شريرة في عمق عينيها الزرقاوين، إن لم يكن مخطئاً وهو بالكاد يخطئ، إذ أنه معروف بقدرته على ملاحظة التفاصيل.

لم تسأل عن العريس. وبعد أن اطمأنت إلى حال جدّها، لم تعد تبدو كعروس أفسد إطلاق نار حفل زفافها. بل بدت في الواقع غاية في السعادة. وكأنما لتؤكد استنتاجاته خلعت الإكليل عن رأسها ومدّت يدها من نافذة السيارة تاركة الهواء يحمله ثم ضحكت بسعادة وهو يطير خلفهما لتعبث به أيدي الأولاد في الشارع.

ولفحت نسائم الهواء وجهها وعبثت بشعرها الذي حرّرته من آخر الدبابيس وتركته ينسدل فوق كتفيها.

يبدو أن الأميرة شوشونا تستمتع بوقتها كثيراً.

قال لها منزعجاً: «اسمعي سموّك، نحن لا نلعب هنا. لا ترمي أي شيء آخر من النافذة لئلا يتمكّن من يتعقبنا من اللحاق بنا».

نفضت شعرها ورمقته بنظرة فيها شيء من التمرّد. من الواضح أنها لم تعتد تلقّي الأوامر من أحد. لكن الوضع لا يسمح بالتراخي وعلى شخص واحد أن يتولى زمام الأمور ولن تكون هي حتماً.

راح يرتب المعلومات في رأسه، ولم يكن تقييمه للوضع الراهن

جيداً. لقد جاء لحراسة إحدى حفلات الزفاف فوجد نفسه برفقة أميرة يحاول أحدهم قتلها.

لم يكن يعرف الجزيرة وليس لديه أدنى فكرة عن أي مكان آمن يأخذها إليه. ولم يكن يحمل سوى القليل من المال، وينبغي عليه أن يطعمها، وأن يشتري لها ملابس أخرى غير ذاك الفستان الملفت.

عليه أن يفترض أنّ من يلاحقها ليس من الذكاء بحيث يقتفي أثرها عبر بطاقة اعتماد أو عبر تعقب مكالمة هاتفية. يمكنه استعمال هاتفه مرّة أخرى لتحديد زمان ومكان اللقاء ومن ثم رميه. كما أنّ عليه أن يترك السيارة المسروقة فلا بد أن صاحبها أبلغ عن سرقتها.

من الناحية الإيجابية، الأميرة حية وقد اتخذ قرار الحفاظ على حياتها، وهو يحمل سلاحاً إنما القليل من الذخيرة. عليه أن يستعمل بطاقته المصرفية مرّة واحدة لتيسير وضعهما. وعندما يتم تعقبهما سيكونان قد أصبحا بعيدين.

سألها: «هل لديك أي أعداء؟».

إذا تسنّى له الاتصال مرّة أخرى بغراي فسوف يزوّده ببعض المعلومات كما سيساعده ذلك على معرفة ما إذا كان التهديد الذي تلقّته شخصياً أم حركة سياسية.

قالت له: «كلا».

لكنه لاحظ تردّدها للحظة، فعاد يسألها: «أواثقة أنت من أحداً لا يكرهك؟».

- بالطبع لا.

لكنه لاحظ تردّدها مجدداً، فأصرّ على الموضوع: «ومن برأيك فعل ذلك؟ ماذا يقول داخلك؟».

اتسعت عيناها وسألته: «وماذا تقصد بداخلي؟».

- أعني حدسك.

- إنه تافه.

أمرها قائلاً: «أخبريني».

- كان الأمير ماهايل على علاقة بامرأة أخرى قبل أن يطلب الزواج مني. في الواقع إنها ابنة عمّي وهي تدّعي أنها سعيدة لأجلي، لكن...

إنها التفاصيل مجدداً. ويختار الناس تجاهلها وهذا خطأ.

قال لها بفظاظة: «حدسك ليس تافهاً فقد يبقيك حيّة. ما اسمها؟».

- لا أريدها أن تتورّط بأيّ مشاكل. ربما ليس لها علاقة بالأمر أصلاً.

لم تختر الأميرة أن تتجاهل حدسها وحسب بل بدت مصمّمة على الاستمرار في ذلك. لكنه قدّر ولاءها.

- لن تتورّط في أيّ مشكلة إذا لم تفعل شيئاً. ما اسمها؟.

قالت مترددة: «ماريّا».

- والآن أخبريني أين يمكننا إيجاد متجر، متجر صغير حيث أستطيع شراء الطعام وملابس لك.

تنفسّت الصعداء وقالت: «هل أستطيع أن أحصل على سروال قصير؟».

وأسبلت الرموش السوداء الطويلة لتغطي زرقة عينين بلون المحيط.

حاول ألاّ يتنهّد بصوت مسموع. أليست امرأة في النهاية؟ فحتى في الأزمة لا يستطعن تفويت أيّ فرصة للتسوّق.

قال لها وهو ينظر إلى ساقيها المكشوفتين بعد أن تمزّق الفستان: «سأشتري ما لا يلفت النظر إليك وأشك في أن يكون ذلك سروالاً قصيراً».

سألته بإثارة: «وهل سأرتدي قناعاً أيضاً؟».

كانت مصممّة على ألا تفهم مدى خطورة الوضع. ولعل هذا أفضل فآخر ما يريده هو نوبة هستيريا.

وردّ قائلاً: «بالطبع، سيكون عليك وضع قناع».

أجابته الأميرة شوشونا بكثير من الحماسة: «يمكنك أن تدّعي أنك صديقي. ويمكننا استئجار دراجة نارية للتغلغل بين السّياح. كم من الوقت عليك حمايتي وحجبي عن الأنظار؟».

- لا أدري بعد. لبضعة أيام ربما.

أجابت بفرح مصممة على النظر إلى مسألة الحياة أو الموت هذه على أنها مغامرة كبرى: «لطالما رغبت في ركوب دراجة نارية!».

لم تكن رغبته في خنقها تتلاءم مع السلوك المهني الخالي من العواطف الذي عليه اعتماده معها، وسيبتعد أكثر فأكثر عن المهنية عند ركوبهما الدرّاجة معاً. وتخيّل الوضع وهي قريبة منه، وجسمها ملتصق بظهره والدراجة النارية تسرع بهما.

نبّه نفسه ليعود إلى أرض الواقع فلن يكون هناك اي درّاجة نارية.

وفجأة، قالت: «سأقصّ شعري».

إنها أول فكرة منطقية تطرحها، لكنه أدرك أنه لن يسمح لها بذلك فشعرها الطويل الأسود اللامع رائع. لن يسمح لها أن تقصّه ولو كانت هذه أفضل طريقة لتغيير مظهرها.

كان يدرك أنه يستند في قراره إلى أسباب خاطئة، وأنه يحيد عن الالتزام المهني.

رمقت شوشونا الرجل الذي بجانبها بنظرة فانتابها شعور رائع. فهو وسيم بامتياز، بشعره القصير البني المائل إلى الحمرة تحت أشعة الشمس.

بدت عيناه المسمّرتان على الطريق أشبه بياقوتتين كما عيني الأسد، وجاءت شفتاه وذقنه العنيدة لتؤكدا قوته.

كان رجلاً ضخماً عريض الكتفين مفتول العضلات لا يشبه رجال براناشا. وعندما ألقاها أرضاً في المعبد أصابتها صدمة. فما من رجل تعامل معها بمثل هذه الخشونة من قبل! وشعرت في ما بعد بجسمه الرجولي فوقها، فشعرت بإثارة لم تعرفها من قبل.

راقبت يده وهي تمتد إلى ربطة عنقه لتحلّها. ودسّها في جيبه ثم فكّ زر قميصه الأول ومرّر يده على عنقه وكأنه نجا من حبل المشنقة.

سألته: «ما اسمك؟».

كان السؤال بحد ذاته صدمة نظراً لطريقة تفكيرها به وهي على وشك الزواج من رجل آخر. نظرت إلى أصابع يديه فلفتها الشعر الأغبر اللون، وصدمتها أفكارها بعد أن تصوّرت تلك الأصابع تتخلل شعرها.

لقد عاشت حياةً متحفّظة نوعاً ما. فهذه المرة هي الأولى التي تقترب فيها من رجل ليس من عائلتها إلى هذا الحد. حتى لقاءاتها مع خطيبها الأمير ماهايل من الجزيرة المجاورة كانت رسمية جداً ومراقبة عن قرب.

قال وهو ينحرف بالسيارة ليتفادي صدم امرأة: «رونان».

وتفوّه بكلمة استساغت سمعها من دون أن تفهم معناها على الرغم من أن لغتها الانكليزية ممتازة. لكن طريقة تفوهه بالكلمة والقشعريرة التي بعثتها في جسمها أنبآها بان الكلمة بذيئة.

كررت اسمه قبل أن تضيف: «عليك مناداتي بشوشونا».

- سموّك، لن أناديك بشوشونا.

وتابع قائلاً: «أظن أن من ينادي أفراد العائلة المالكة بأسمائهم يُجلد ثلاثين جلدة».

- تصرف تافه!.

لكن هذا صحيح، فلا أحد يتجرأ على مناداتها باسمها وهذا جزء

من سجنها لأنها من أفراد عائلة براناشا المالكة.

لكنها أنقذت! استجيبت دعواتها في اللحظة التي ظنت فيها أن الأمل تبخّر وحين استسلمت لواقع أنها ستتزوج من رجل لا تحبه.

لم تكن تعرف المهلة المعطاة لها وعلى الرغم من تحذير رونان لها بلهجة حازمة بأنّ الأمر ليس لعبة إلاّ أنها صممت على الاستفادة منها إلى الحدّ الأقصى. وسواء أكانت المهلة بضع ساعات أو بضعة أيام، فقد عقدت النيّة على أن تكون ما لن تعيشه مجدداً. فهي الآن حرّة، وهذا ما لطالما أرادته في حياتها. أن تكون فتاة عادية، وتعيش حياة عادية.

وقررت متابعة الحديث لتكتشف كل ما يمكنها معرفته عن هذا الغريب. نظرت إليه وارتعشت. هل يمكن لأغلى هدية قدمها لها القدر أن تتضمن كل ما يدور في خلدها. هل يمكن للأمور أن تسير إلى أبعد من الحدود المرسومة لها؟

كانت تعلم كم أن أفكارها هذه سيئة، لكن قلبها راح يخفق بسرعة. كيف يمكن لهذه التخيلات أن تثير فيها كل تلك المشاعر في حين أن ما يفترض أن يحصل في هذه الليلة مع زوجها الأمير ماهايل لا يملأها بسوى الخوف؟

- ما هي جنسيتك؟

- وهل للأمر أهمية؟ لا يفترض بك معرفة أي شيء عني. عليك فقط الإصغاء إلي.

نبرة صوته البارد الخشن لم تكن تتلاءم مطلقاً مع صور مخيلتها. وتساءلت في نفسها بغضب إن كان لا يعرف أنه حين تطرح عليه الأميرة سؤالاً لا خيار لديه سوى الإجابة. وعلى الرغم من محاولتها اليائسة كي تعيش حياة فتاة عادية إلاّ أنّ عاداتها القديمة جعلتها ترمقه بنظرة أرستقراطية اعتادت أن تستعملها مع من يسيء التصرف من

www.elromancia.com

الخدم.

وجاءها الجواب حاداً: «أسترالي».

لعل هذا يفسر لكنته لاسيما عندما تلفظ بتلك العبارة الغريبة وهو يتفادى المرأة. نطقت بالعبارة بنفسها بصوت مرتفع مقلّدة النبرة ذاتها.

انحرفت السيارة فجأة لكنه عاد وسيطر عليها قائلاً بغضب: «لا تكرّري تلك العبارة!».

ثم أردف بتردّد بعد أن فكر قليلاً: «سموّك».

- أحاول أن أحسّن لغتي الانكليزية!.

- بل ما تحاولين فعله هو تعريضي للجَلدْ بالسوط، بتهمة تلقين الأميرة السّباب. هل ما زال الناس يجلدون هنا؟

قالت تكذب بحلاوة: «طبعاً»

أسودّ وجهه غضباً لكنه نظر إليها فأدرك أنه يستمتع هو أيضاً بما يجري.

- هل يتم إجبار النساء في أستراليا على الزواج بمن لا يحبين؟

في الواقع، لم يتم إجبارها فعلياً، بل منحها والدها حرية الاختيار، وإن لم يكن الخيار حرّاً بالكامل. فتوقعات أبيها ورغبتها البائسة في إرضائه أثرت في قرارها.

كما أن عرض الزواج هذا أتى بشكل مفاجئ وفي فترة حساسة من حياتها، بعد بضعة أيام من وفاة هرتها.

قال الناس إنها مجرّد هرّة وقد صدموا لمدى حزنها عليها لكنها ربّتها منذ كانت صغيرة جداً، حين كانت هي في الثامنة من عمرها. كانت تلك الهرّة صديقتها ورفيقتها وحافظة أسرارها وسط أسرة ملكية دائمة الانشغال.

- انعطف من هنا، ستجد متجراً على الطريق.

وسألته بعد أن قرر تجاهل سؤالها: «حسناً؟».

- يتزوج الناس في كافة أنحاء العالم ولمختلف الأسباب، فالحب لا يضمن نجاح الزواج. ومن يعرف ما هو الحب أصلاً.

قالت بلهجة عنيدة: «أنا أعرف.»

بدا لها أن نظرتها إلى الحب تغيّرت تماماً بعد موافقتها على الزواج من الرجل الخاطئ. وفي سعيها للتخلّص من المشاعر الرهيبة التي ساورتها بعد موت هرتها، سمحت شوشونا لنفسها بالانغماس في التحضيرات الجارية. فالجزيرتان تستعدان للزفاف، والخياطون منشغلون في خياطة فساتين الحفل، والحافلات تتحرك ذهاباً وإياباً والهدايا تتدفق من حول العالم استعداداً لحفل الزفاف الملكي.

أمكنها تصوّر الخيبة على وجه أبيها لو ذهبت إليه لتتراجع عن قرارها.

- بالطبع أنت تعرفين أيتها الأميرة.

أوحت لها نبرته أن فكرتها عن الحب كوّنتها من الكتب وهي مجرد حلم فتاة مراهقة.

قالت له منزعجة: «أنت تظن أني تافهة وغير ناضجة لأني أؤمن بالحب».

- لا أعرف أي شيء عنك وعما تؤمنين به. ولا أود معرفته. لدي عمل أقوم به. مهمة تقتضي أن أحافظ على سلامتك. وكلما قلّت معرفتي بك كلما كان أفضل.

أذهلتها كلماته فقد اعتادت المداهنة والتملق ولم يخبرها أحدٌ يوماً بحقيقة أفكاره. لا شك أن ذاك الإعجاب غير الصادق هو ما جعلها تتكوّر ليلاً بالقرب من قطتها لتستمع إلى مواتها العميق وكأنها الوحيدة التي تفهمها وتحبّها بصدق.

فلو أبدى شخص واحد شكوكاً خيال زواجها المرتقب لوجدت الشجاعة لإلغائه. لكن الكل أفقدها صوابها. إذ راحوا يتحدثون عن

www.elromancia.com

روعة الحفل المرتقب وعن وسامة الأمير ماهايل وعن صوابية اختيارها لأصناف الطعام روعة الأزهار التي اختارتها بنفسها.

قالت ببرودة: «ها هو المتجر».

أوقف السيارة، وعندما أمسكت بقبضة الباب قال: «ستبقين هنا».

شعرت بوخز في ذراعها عندما وضع يده عليها. ولا بد أنه شعر بالمثل إذ سحب يده وكأن شيئاً ما وخزه. وسألها: «هل تفهمين ما أقول؟ ابقي هنا واخفضي رأسك إذا مرّ أحدهم».

هزت رأسها موافقة لكن حركتها لم تظهر ما يكفي من المصداقية.

فكرر ما قاله سابقاً: «هذه ليست لعبة».

أجابته: «حسناً، فهمت».

تمتم وهو يرمقها بنظرة طويلة ويخرج من السيارة ليقطع الشارع: «آمل ذلك».

صرخت به وهو يدخل المتجر: «ولا تنس المقص»

حدق فيها بانزعاج. ألم يقل لها أن تبقى هادئة!.

أرادت أن تقص شعرها منذ كانت في الثالثة عشرة من عمرها، فهو طويل جداً ويسبب لها الانزعاج.

وقد قالت لها والدتها المصدومة لطلبها: «الأميرات لا يقصصن شعرهن».

الأميرات لا يفعلن أموراً كثيرة.

لقد أرادت شوشونا أحلاماً لا تمتّ إلى عالم الأميرات بصلة، حتى أنها لم تكن أحلاماً كبيرة بل أحلاماً خاصة بها. وإن كان رونان يعتقد أنها لا تأخذ ما حصل على محمل الجد، فهو مخطئ تماماً.

لقد تخلت عن أحلامها وشعرت وكأنها زجاج يتحطم مع كل خطوة كانت تقرّبها من المذبح.

لكن ولسبب ما، ولعلها كثرة صلواتها، سنحت لها فرصة وشعرت بأن عليها أن تستغلها لتحصل على كل ما أرادته ورغبت فيه.

كانت ترغب في ارتداء السراويل الطويلة والقصيرة وركوب الدراجة النارية! ودّت لو تركب الأمواج وترتدي ملابس سباحة حقيقية وليس ذاك الزي التقليدي الذي ترتديه في القصر.

كان لديها أحلام أخرى لن تتحقق حتماً في حال تزوجت ولي عهد الجزيرة التقليدية الشبيهة ببراناشا، فهناك ستلتزم الوقار والحشمة. وسترتدي أفخر الأثواب وأثمن المجوهرات وستكون تصرفاتها خالية من أي عيب ولن تتمكن مطلقاً من قول ما يدور في خلدها. عليها باختصار أن تلازم المنزل وتنجب الأطفال فيما هي تريد يائسة تجربة الحياة البسيطة.

أرادت شوشونا أن ترى الثلج وأن تتزحلق . وشعرت بأنها تفتقد أمراً أساسياً وهو الصديق المسلي المرح كالذي تراه في الأفلام. صديق يسليها، يرافقها إلى السينما ويمسك بيدها وتعيش معه لحظات رومنسية. فالزوج مختلف تماماً! وتمنت للحظة لو يدّعي رونان أنه كذلك لكنها أدركت أن هذا غير ممكن أبداً.

معظم أحلامها لا يمكن تحقيقها.

ومع ذلك، حدثت معجزة. وها هي هنا مع شاب غريب وسيم في سيارة أجرة مسروقة في حين يفترض بها أن تكون متزوجة الآن من الأمير ماهايل. إنها تعرفه منذ الطفولة ولم تجد فيه أي حسّ من الرومنسية مع أن كثيرات فعلن ذلك بمن فيهن ابنة عمّها الحمقاء ماريا.

كان ماهايل مغتراً بنفسه، واثقاً من مكانته وتفوقه الذكوري. والأسوأ أنه لا يؤمن بأحلامها أبداً.

أكثر ما كانت شوشونا ترغب فيه هو التعلم؛ تعلّم أمور عظيمة

www.elromancia.com

وليس التقيّد وحسب بالمواد التي يسمح لها بأن تدرسها. أرادت أن تجلس في الصفوف مع التلاميذ الشبان وتناقش الآراء المطروحة. كما أرادت أن تتعلّم لعبة الشطرنج التي تقول أمها إنها للرجال فقط.

كانت تعلم أنها أميرة غير مهمة لأنها الابنة الوحيدة لزوجة قليلة الشأن ما جعلها بعيدة عن الأنظار. وفي صغرها، أمضت وقتاً طويلاً مع جدّها الإنكليزي وظنت أنها ستكمل يوماً ما دراستها في إحدى جامعات بريطانيا.

ومع شعورها بأن الحرية تكاد تصبح في متناول يدها، وبقرب إمكانية تحقيق أحلامها، أفسد الأمير ماهايل الأمور باختيارها عروساً له. لماذا اختارها هي؟

أخبرتها ماريا أنه مأسور بجمال شعرها! وتذكرت فجأة كيف كانت ماريا تنظر إلى شعرها بغيرة وسرت في أوصالها قشعريرة بعد أن أدركت سبب تلك النظرة.

قبل أن يتقدم ماهايل لطلب يدها سرت شائعة بأنه اختار ماريا عروساً له فقد غازلها بشكل علني في معظم المناسبات. ووصل إلى مسامع شوشونا أن ماريا طلبت لقاءه بعد أن طلب شوشونا لكنه أذلها برفض طلبها. وقد زاد هذا من كرهها لها. إلى أيّ مدى كانت ماريا غاضبة؟ ثقي بحدسك.

لو نجحت في قص شعرها قبل العودة لربما فقد الأمير ماهايل اهتمامه بها فلا تعود ماريا تشعر بالغيرة.

إن اختياره لها لمجرّد جمال شعرها أمر مهين فعلاً، وكأنها رأس ماشية تم اختياره لشكله وليس لمشاعره أو عقله أو روحه! وقد أطلع الأمير أباها على اهتمامه، فأحسّت أن والدها لاحظ وجودها وكأنه تنبه فعلاً ولأول مرّة أن له ابنة. وأتت موافقته من دون قناعة ما جعلها تقول نعم فيما كان يجب أن ترفض.

عاد رونان إلى السيارة ووضع حقيبة في حضنها فيما ألقى بعض الأغراض الأخرى على المقعد الخلفي. لاحظت أنه اشترى بعض الملابس لنفسه وغيّر البذلة التي كانت يرتديها فلبس قميصاً مفتوحاً عند العنق وقصير الكمين ما أبرز ذراعيه المفتولتي العضلات اللتين يُغطيهما شعر جعلته أشعة الشمس ذهبياً بلونها.

وارتدى سروالاً قصيراً. ولا تتذكر أنها رأت مثل تينك الساقين الطويلتين في حياتها!.

ركزت شوشونا على الحقيبة أمامها والتي وجدت فيها بعض الملابس ونظارة سوداء بغاية البشاعة وقبعة قبيحة وسترة وتنورة قد يسر معلمة بريطانية أن ترتديهما.

لم تجد أثراً لأيّ سروال قصير فشعرت برغبة في البكاء.

سألته: «وأين المقص؟».

فأجاب بسرعة: «نسيته.»

أدركت أنه لا يمكن الاعتماد عليه لتحقيق أي من أحلامها، أو الاستفادة من المهلة المعطاة لها، فبرنامجه يختلف كلياً عن خططها. فهو يريد الحفاظ على سلامتها فيما آخر ما تريده هو السلامة. أرادت أن تشعر بأنها حيّة بكل ما تعنيه تلك الكلمة.

وفتحت باب السيارة.

- أين تذهبين بحق السماء؟.

- إلى خلف تلك الأشجار لتبديل ملابسي، بحق الجحيم.

فقال لها: «لا أظن أن الأميرات يبدّلن ملابسهن خلف الأشجار، أو يقلن «بحق الجحيم». اصعدي إلى السيارة وحسب وسأجد...».

- سأبدّلها الآن ومن ثم أدخل المتجر وأذهب إلى حمّام السيدات.

- ربما، وبما أنك تتسترين خلف الأشجار، اغتنمي الفرصة و...

منعته نظراتها من متابعة الكلام فاقفل فمه ثم قطب جبينه وهو ينظر إليها.

قالت وهي تطل برأسها من بين الأعشاب على جانب الطريق:
«لا تسترق النظر».

تمتم قائلاً: «فليساعدني الله».

٢ - لقاء مع الحرية

استسلم رونان للأمر الواقع وراح يحوّم حول المكان أمام الأشجار فيما هي تبدّل ملابسها، محاولاً تجاهل حفيف الحرير وهو يسقط عن جسمها.

حين ظهرت من خلف الأشجار وعلى الرغم من ثقته بصحة خياراته، لم تبدُ الأمير شوشونا كفرد من العائلة الملكية أو حتى كإحدى سكان الجزيرة.

فنساء براناشا يتميزن بشعر رائع يغطي رؤوسهن وينسدل طويلاً أسود لامعاً على أكتافهن، وهن يزيّنه أحياناً ببعض الأزهار الطبيعية لكنهن لا يسترنه أبداً. وقد تدبّرت الأميرة أمر إخفاء خصلات شعرها الأسود تحت قبعة القش فيما غطت النظارات السوداء زرقة عينيها.

إنها محقة تماماً بشأن ذوقه في الموضة، فالملابس التي اختارها لها بشعة فوق حدّ الوصف. فالسترة كبيرة جداً والتنورة مبتذلة تصل إلى ما دون ركبتيها بقليل. لولا الحذاء الناعم الذي يبرز جمال قدميها الصغيرتين لبدت كمربية إنكليزية بدينة تمضي إجازتها على الجزيرة.

لكن الملابس ممتازة للتخفّي فهي تخفي حقيقة من تكون وقد ناسبه ذلك تماماً. أخفت الثياب التي اشتراها مفاتن الأميرة وجعلتها تبدو خالية من أي إغراء. كان يعرف أن آخر ما يريده هو النظر إليها كامرأة، وامرأة جميلة جداً.

قطع معها الشارع ممتناً لهدوء السوق في مثل الوقت من النهار.

www.elromancia.com

وقال لها: «حاولي ألا تكلّمي أحداً. الحمامات في الخلف».

رجّ هاتفه الخلوي مجدداً فحذرها وهو يدقق في رقم المتصل: «خمس دقائق فقط».

انتابه شعور بالارتياح لأنّ المتصل ليس أمه رغم أنه لم يتعرّف إلى الرقم المذكور على الشاشة. راقبها تدخل المتجر وتتوجه إلى الخلف مباشرة فتأكد من سلامتها وعاد يركز اهتمامه على الهاتف.

تكلم بحذر لئلا يكشف صوته عن هويته.

- كيف تلقّت أورورا خبر إجبارها على الاختباء.

قال بخشونة مع أنه لم يكن يؤمن بذلك: «بسعادة. تنتظر قدوم أميرها».

- هل يمكن إبقاءها بعيدة لنبتون؟

نبتون هو نوع من التمارين يخضع لها أفراد إكسكاليبر مرّة في السنة وهي تمتد فترة أسبوع. أخذ رونان نفساً عميقاً. أسبوع؟

سيكون هذا صعباً على مستويات عدّة فهو لا يعرف الجزيرة. لكن غراي لم يكن ليطلب منه ذلك لولا حاجته الماسة لمزيد من الوقت.

لابدّ أنّ الأميرة تعرف الجزيرة بما يكفي لتساعده على إيجاد مكان هادئ يختبئان فيه مدة أسبوع!

لكنهما رجل وامرأة مختبئان بعيداً عن الأنظار مدة أسبوع كامل. امرأة جميلة على الرغم من قناع التخفي وعلى الرغم من الالتزام المهني الذي اعتاده.

أجاب من دون أن يسمح للشك بأن يظهر في نبرته: «لا بأس».

تمنى لو أن الكولونيل يقترح عليه مكاناً، لكنه أدرك أنه يستحسن ألا يفعل خوفاً من أيّ خرق في فريق غراي.

- سنلتقي عند هاري. مسبح نبتون.

كان الكولونيل حكيماً باعتماده هذه الرموز التي لا يفهم معناها

سوى أحد أفراد الوحدة. إذن، سيلتقي رونان غراي بعد أسبوع في مقهى بريطاني الطراز أو مكان يبيع السمك والرقائق قريب من القصر على الأرجح وعند الساعة الثالثة بعد الظهر.

تعمّد عدم الإجابة بالطريقة المعتادة: «فهمت».

وتابع: «بالمناسبة، عليك التحقق من ابنة عمّ لها تدعى ماريا».

أجاب الكولونيل: «شكراً، تخلّص من الهاتف».

- سأفعل.

أقفل الخط ونظر إلى داخل المتجر، فرأى الأميرة تخرج من الخلف وتتجه نحو قسم الملابس مرتاحة تتفحصها وتلقيها على ذراعها. لحسن الحظ أنها لا تزال تضع النظارات على الرغم من الظلمة النسبية داخل المتجر.

رآها تضع فوق الملابس التي اختارتها ثوب سباحة زاهي اللون يكاد لا يكفي ليكون فوطة. هل سيمضي أسبوعاً معها ومع ما تحمل؟ نعم، إنه محترف إنما ليس صانع معجزات. فالمهمة تحدٍ بما يكفي مع منظرها الشبيه بمربية انكليزية!

اقترب منها وسحب ثوب السباحة عن ذراعها وعلّقه في أقرب مكان ممكن قائلاً: «لا يفترض بنا لفت الانتباه أورورا. كما أنّ هذا لا يتناسب مع ما أحمل من نقود لدفع الفاتورة».

- أورورا؟.

أجابها بصوت خافت: «إنه اسمك الرمزي».

أخذت نفساً وقالت: «اسم رمزي؟ لقد أحببته. هل يعني شيئاً؟».

- إنه اسم بطلة قصة الأميرة النائمة.

- حسناً، لكني لا أنتظر أميري!.

فقال بخشونة: «توقعت ذلك؟».

لم يكن يرغب في أن يظهر أيّ اهتمام بمسألة الأمير، فليس لذلك

علاقة بمهمته. قرر في سرّه ألاّ يسألها لما تخشى الزواج إلى هذا الحد ونجح في ذلك فعلاً، للحظة. لكنه أدرك أنه سيمضي معها أسبوعاً كاملاً وسيضطر لأن يسيطر على فضوله.

سألته: «هل لديك اسم رمزي؟».

حاول التفكير باسم كاهن مشهور لكنه لا يعرف الكثير عن عالم الكهنة فأجابها: «كلا، فلنرحل».

رمقته بنظرة صَعُب عليه تفسير معانيها وعادت تضع ثوب السباحة على ذراعها قائلة: «ليس بالضرورة أن ألبسه، عليّ فقط أن أحصل عليه وألمسه وأتخيل المشهد».

نظر حوله متبرّماً. كان المتجر خالياً من الزبائن فيما انشغل المحاسب بماكسبه من مال هذا النهار.

قال بصوت خافت: «هيا بنا، لقد جلبت من الملابس ما يكفيك لعام كامل».

قالت يحدوها الأمل مؤكدة رأيه بأنها ليست أميرة متلهفة للقاء أميرها: «لعل الفترة ستمتد لسنة».

- لدي تعليمات أتقيد بها. علينا أن نختفي أسبوعاً.

التقطت أحد السراويل القصيرة جداً.

- علينا الذهاب.

- لم أنته بعد.

شدّها من مرفقها قائلاً: «اسمعي أيتها الأميرة. عليك اتخاذ قرار».

رفعت ثوب السباحة إلى مستوى نظره وقالت متعمّدة تجاهل كلامه: «أعلم، إيهما أختار الأخضر أم الزهري؟».

أجبر نفسه على أن يبقي ملامحه خالية من أيّ تعبير ويدعي عدم ملاحظة قطعتي القماش أمامه. لسوء الحظ أن تخيّلها في تلك الملابس

سهل جداً.

أخذ نفساً عميقاً وقال لها بهدوء: «الأمر يتعلق بحياتك أنت وليس بحياتي أنا. ولن أكون مسؤولاً عنها أكثر منك. لذا إن أردت المخاطرة بها، وإن أردت أن تزيدي الأمر صعوبة بدلاً من التعاون معي، فسأعيدك إلى القصر حالاً».

رغم النظارات أدرك أنها لا تريد العودة، فاشتداد العضلات حول فمها أكد له ذلك.

- في الواقع سيناسبني ذلك تماماً. لقد تورطت بالأمر رغماً عني إذ أتيت ضمن فريق أمني لحراسة حفل الزفاف وليس لأكون حارسك الشخصي. الضابط المسؤول عني سيغضب كثيراً إن لم أعد إلى عملي نهار الثلاثاء.

إنه يخدعها فهو لا ينوي إعادتها إلى القصر حتى يكتشف غراي المسؤول عن الاعتداء. سوف يبلغ غراي الوحدة أن الظروف أخرته لأسباب تخرج عن إرادته.

لكن ليس عليها أن تعرف هذا كله، كما أنها تبدو سعيدة لعدم إتمام زفافها، وآخر ما تريده هو العودة إلى حياتها السابقة.

وتابع كلامه: «أنا واثق من أن خطيبك قلق كثيراً عليك، ومتشوق لجعلك زوجته ليبقيك بمنأى عن الخطر، ولعله أكثر كفاءة مني في القيام بذلك».

لاحظ بوضوح أنه حاز على اهتمامها تماماً، وأدرك أن حماستها للعودة إلى الأمير توازي رغبتها في السباحة مع التماسيح.

وتابع: «لعلها الفكرة الأفضل. تعودين وتقيمون حفل زفاف مختصراً وسريعاً، وتخرجين مع عريسك من الجزيرة لتمضية شهر عسلكما معاً ريثما تتوضح الأمور».

بدا ردّ فعلها على كلامه واضحاً فلغة جسدها نطقت بتوتر

www.elromancia.com

مفاجئ. اتضح له أنها لا تريد الزواج، وأن مشاعرها حيال خطيبها ليست إيجابية، لكن عليه مجدداً لجم فضوله ومشاعره فتلك ليست مشكلته أو حتى من أولوياته التي تنحصر بالحفاظ على سلامتها.

فسواء كانت رائعة أم قبيحة وتعيسة في حياتها العاطفية أم محبطة فهذا لا يعنيه، أو هذا ما يفترض أن يكون عليه الأمر.

ومع ذلك بقي يشعر بتلك الرعشة من التعاطف غير المرغوب فيه وهو يراقبها تذبل ويبهت لون وجهها. كان سعيداً لأنها تضع تلك النظارات لأنه لم يشأ رؤية عينيها في تلك اللحظة.

أعادت ثوب السباحة الزهري اللون لكنها استدارت ومشت نحو الصندوق وكأنها لا تزال تمسك بزمام الأمور وكأنه هو خادمها الذي يفترض به اللحاق بها ودفع الفاتورة.

من الواضح أنها لا تعرف عبارة دفع الحساب، ولعلها لم تحمل يوماً نقوداً أو بطاقة اعتماد. لعلها تضع مشترياتها على الحساب أو يهتم أحد أفراد حاشيتها بتلك التفاصيل.

ويبدو أنها أدركت الأمر حين وصلت إلى الصندوق وكان بإمكانه أن يحرجها لكنه لم يشأ ذلك كما لم يشأ أن يترك أيّ ذكرى.

قال لها بسلاسة: «فهمت حبيبتي».

ومع أن لعب دور الحبيبين فكرتها إلاّ أنه فاجأها.

راحت تنظر أينما كان لتتفادى النظر إليه، ثم ومن دون سابق إنذار وقفت على رؤوس أصابعها وطبعت قبلة على وجنته.

أجابته بسرعة وقد قرّرت فجأة أن تطلق عليه اسماً يتناسب مع اسمها: «شكراً أيها الفارس».

تمنى ألا ينظر إليه المحاسب إذ سيتذكر أنه رأى رجلاً تحمّر وجنتاه لأن حبيبته المزعومة طبعت قبلة على خده.

ولم يشأ رونان أن يزيد الوضع سوءاً بالنظر ناحيتها لكنه ذهل

لنعومة شفتيها وكأنهما أشبه بجناحي فراشة.

قالت فجأة وبأنفاس مقطوعة: «آه، أنظر!».

كانت تشير إلى ورقة قديمة تحت زجاج الطاولة أمامهما. «دراجات نارية للإيجار: ساعة، يوم، أسبوع».

إنها المرّة الأخيرة التي يستعمل فيها بطاقة اعتماده، وقد حان الوقت لتبديل السيارة بالرغم من رفضه للفكرة سابقاً. هل هذه فكرة سديدة بالفعل أم أنه تأثير القبلة على وجنته؟

سبق له أن رفض كلياً فكرة الدراجة النارية فهل سيعيد النظر في قراره؟ هل بدأ يفقد أعصابه؟ هل بدأت تفقده أعصابه؟ عليه القيام بعمله واتخاذ قراراته بحيث ينجح في مهمته التي تقتضي الحفاظ على سلامتها، وتوقيفه في سيارة مسروقة لن يساعده في تحقيق ذلك. أما الاختلاط بآلاف السياح الذين تعج بهم الجزيرة فتصرّف منطقي أكثر.

منذ أن تحدّث إلى غراي وهو يتساءل عما إذا كان الهدف من تهديد الأميرة هو إيقاف حفل الزفاف أم إيذائها فعلياً.

لكنه يعلم أن هذا لا يشكل سبباً يجعله يتهاون في تنفيذ المهمة فعليه أن يتعامل مع مسألة تهديد سلامتها بشكل جدّي.

قالت له بنعومة وهي تنزل النظارات قليلاً عن عينيها لتنظر إليه من فوق الإطار: «أرجوك؟».

كانت عيناها رائعتين بلون البحر وعمقه ومملوءتين بتوسل حقيقي وكأن حياتها تعتمد على ركوب تلك الدراجة.

وبعد نصف ساعة، وبعد أن وضب أغراضهما في حقيبة وركن السيارة على جانب الطريق خلف الأشجار، تفحص الدراجة ثم تناول الخوذة.

- تعالي إلى هنا.

- لا أريد أن أضع الخوذة على رأسي بل أريد أن أشعر بالهواء

www.elromancia.com

يتخلل شعري.

لقد لاحظ أن راكبي الدراجات النارية بالكاد يضعون خوذة على رؤوسهم في تلك الجزيرة ولعل هذا يعود إلى أنّ سرعة الدراجة القصوى لا تتجاوز ثمانين كيلومتراً في الساعة. ومع ذلك فقد وافق على استئجار الدراجة استسلاماً لرغباتها.

كان يعلم أن الحياة قد تسخر منهما بظلمها، ومن المريع أن يحاول حمايتها من قاتل محتمل لتلقى مصرعها على دراجة.

قالت له: «أرجوك أيها الفارس».

لقد نجحت بتوسلها إليه بهذه الطريقة من قبل وها هي تعتمد الخطة نفسها مجدداً! لكنه لن يسمح لها بالتلاعب به.

خلعت نظارتها وطرفت بعينيها فاستطاع رؤية التوسل الحقيقي يلتمع فيهما. لكنه علم أنه لا يستطيع الاستسلام فلا بد أنها اعتادت أن يهرع الجميع لإسعادها وتنفيذ رغباتها وكأن العالم بأسره يدور حولها.

قال: «كلمة فارس لا تناسبني».

- ولم لا؟.

- لأني لست فارساً، كما أني لست أميراً.

وليثبت كلامه، أمرها بحزم: «والآن تعالي إلى هنا وضعي الخوذة».

- وأنت هل ستضع واحدة؟.

لم يجب لكنه رفع حاجبه وحسب في رسالة واضحة: إما أن تضع الخوذة وإما أن تعود إلى المنزل.

نزعت قبعة القش بتمرّد عن رأسها.

حاول ألا يظهر لها مدى صدمته. ففي غضون الدقائق القليلة التي غابت فيها عن نظره وفيما كان يتحدث إلى غراي دخلت إلى الحمام ليس للسبب الذي فكر فيها. لكن من أين حصلت على مقص؟ أو

لعلها استعملت سكيناً نظراً لتلك القصة المشوّهة. فقد بدت أشبه بصوص فقس حديثاً من البيضة، صوص مغطى بزغب داكن اللون. كان ينبغي أن يبدو الأمر مأساوياً لكنها بدت بغاية الروعة، خالية البال، عفريتية المظهر، متمّردة ما لا يتناسب إطلاقاً مع الملابس التي اختارها لها. فبغض النظر عن شعرها اتضح أن بنيتها وملامحها مميزة، بعينيها الكبيرتين وشفتيها الممتلئتين.

سألها وهو يجاهد لإخفاء صدمته: «ماذا حلّ بشعرك؟».

سارع في وضع الخوذة على رأسها قبل أن تلاحظ كم يجد شعرها غير مرتّب، وارتبك وهو يحاول شد الشريط فقد كان قريباً جداً منها ولم يعجبه ذلك إذ عاد العطر الذي اشتمه أثناء حفل الزفاف يدغدغ أنفه.

- قصصته.

- أستطيع رؤية ذلك بوضوح.

لحسن الحظ أنه حلّ معضلة الخوذة وثبتها جيداً حول رأسها وابتعد عنها وانتابه ارتياح عظيم لتغطية شعرها: «وماذا فعلت به بعد قصه؟».

أدرك من تعابيرها أنها تركته حيث هو.

وأكمل بحزم: «الآن سيتعقبون أثرنا وسيجدون شعرك المقصوص، وسيبدأ البحث عن فتاة صلعاء، ما يسهل العثور عليك أكثر من قبل».

اعترضت قائلة: «لست صلعاء».

فأجاب: «لكني رأيت قصّات أفضل من هذه».

بدت مكسورة بالخاطر لكنه أقنع نفسه بأنه لا يهتم لذلك.

قالت: «سأعود وأجمع شعري».

- لا بأس. لنأمل ألا يراك أحد.

www.elromancia.com

- هل يبدو بهذه البشاعة؟.

كان بإمكانه يطمئنها، لكن وحده الأمير الفارس يفعل ذلك فقال: «يبدو فظيعاً».

تمنى ألا تبدأ بالبكاء لكنها سارعت إلى وضع النظارة فيما ارتعشت كتفاها بشكل مؤثر.

شعر بشيء من الضعف لكنه عاد فأدرك أن هذا أكثر أماناً في وضعه.

متى تحوّل تركيزه من الحفاظ على سلامتها إلى الاهتمام بحماية سلامته الشخصية منها؟

وقرر أن يتحرك فقال لها: «أريدك أن تفكري جيداً. هل من مكان على الجزيرة حيث لا يمكن لأحد أن يجدنا مدة أسبوع؟».

حاول ألا يغمض عينيه بعد ما قاله. أسبوع كامل برفقتها مع قصة شعرها الجديدة وثوب السباحة الموضب في الحقيبة إضافة إلى السروال القصير والسترة المكشوفة التي ضمتها إلى مشترياتها.

رأى في عينيها توقاً للقيام بأمور محرّمة عليها، أمور لم تكن تدرك أنها موجودة أصلاً، أمور تتجاوز ركوب الدراجة النارية وقص الشعر.

لكنها قد وقعت بين يديه هو. ومهمته هنا محدّدة وهي الحفاظ على سلامتها حتى منه هو. لكنه يدرك أنه مقاتل وليس قديساً، وهذا العالم يطلب منه الكثير الكثير.

ابتعد عنها بسرعة وركب الدراجة ثم ربت على المقعد خلفه من دون أن ينظر إليها.

لكن عدم النظر إليها لم يساعده كثيراً حين جلست على المقعد خلفه وقد ارتفعت تنورتها.

إنها أميرة لا مثيل لها وهو واثق من ذلك. من جهة أخرى، لن

يدرك أحد أنها الأميرة إذا نظر إلى حالتها تلك.

قال لها: «تمسّكي جيداً».

وأحسّ بجسمها يقترب منه ثم صرخت في أذنه: «أعرف مكاناً، أعرف مكاناً مثالياً».

رن الهاتف في جيبه فخفف سرعته ونظر إلى الرقم الظاهر على الشاشة. إنها أمه! تمالك لئلا يصرخ واستمع إليها وهي تترك رسالة صوتية أخرى: «رونان، اتصل بي. الأمر مشوّق جداً».

كانا يعبران جسراً تتدفق المياه من تحته فحمل الهاتف ورماه. ورغم أنه يعمل في مجال الحماية ويشعر أحياناً بأنه يتحمّل مسؤولية العالم بأسره إلاّ أنه لم يستطع يوماً أن يحمي أمه من أكثر ما تحتاج إلى الحماية منه وهو نفسها.

وضعت شوشونا خدّها على كتفه العريض تشتم جلده المفعم برائحة الرجولة التي طغت على رائحة السترة الجديدة.

ستبقى وحدها معه مدة أسبوع، وفي مكان لا يجدهما فيه أحد. بدا الوضع خطيراً ومثيراً ومخيفاً جداً كذلك. اقتربت منه أكثر وقد شعرت بخطر يفوق ذاك الذي أحسّت به عند انطلاق الرصاصة في الكنيسة.

وسرت في أوصالها رعشة ليس لأنه آذى مشاعرها حين أخبرها أن شعرها يبدو فظيعاً، وليس لأنها تركب الدراجة النارية!

صرخت تقول: «أسرع».

نظر من فوق كتفه إليها وصرخ بدوره: «هذه الدراجة لا تسرع أكثر».

لكنه داس على دواسة الوقود وانطلقت الدراجة مسرعة.

انقبضت معدتها وشعرت بالغبطة.

نظر إلى الخلف مجدداً وزم شفتيه لئلا يبتسم لكنه فعل. كانت

ابتسامته أشبه بشمس تشرق من بين غيوم نهار مكفهّر، ابتسامة جعلتها تنسى أن ليس لديها سوى وقت قصير لتحقيق الكثير من الأحلام وأن فترة أسبوع هي أكثر مما كانت تحلم به.

مع ذلك، بدا وكأن ابتسامته نومتها مغنطيسياً وجعلتها تدرك أن ثمة حلم واحد ربما يمكن تحقيقه، حلم تفوق أهميته ارتداء سروال قصير أو ركوب الأمواج أو رؤية الثلج.

ليس لديها سوى بضعة أيام وهي تريد أن تمضيها مع شخص حقيقي لا يضع جبهته على الأرض احتراماً، شخص لا يهمه إرضائها ولا يخشى منصبها. شخص يقول لها الحقيقة حتى لو كانت جارحة.

لن أكون مسؤولاً عنك أكثر منك، هذا ما قاله لها. تلك العبارة البسيطة التي آلمها سماعها عكست حقيقه المسار السيء الذي اتخذته حياتها. فهل يمكن لرونان أن يعيدها إلى حقيقتها؟

عندما كانت أصغر سناً سمح لها بالذهاب إلى أماكن تشعر فيها أنها حقيقية ومرتاحة وكأن ما من سوء في أن تكون على حقيقتها.

لكنها أصبحت لاحقاً تختفي وراء القناع الملكي، وحسن السلوك الذي فرضته الواجبات. وستخسر الآن نفسها إلى الأبد عند عودتها للأمير ماهايل كعروس له.

قالت له: «ثمة مكان صيفي على جزيرة صغيرة تقع شمال الأرض الرئيسية، لا يزورها أحد في مثل هذا الوقت من العام».

- لا أحد، متأكدة؟ ما من حرّاس؟.

- إنها جزيرة خاصة، وليست من النوع الفاخر. عليك أن تتعرف إلى جديّ لتفهم ما أقصد، إنه يمقت كافة حركات التفاخر الملكية كما يسميها ويحب البساطة. الجزيرة بدائية نوعاً ما. لا تصلها الكهرباء والمنزل فيها أشبه بالكوخ بسقف من القصب.

- هل هناك مياه للشرب أم ينبغي أن نشتري بعض الماء؟.

- ثمة جدول قريب.

أدركت أن رونان يفكر على طريقة الجنود فيما كل ما كانت تفكّر فيه هو مكان جيد لتجربة ثوب السباحة أو مكان رائع لإعادة اكتشاف ذاتها! لكن، مع ابتسامته التي تحمل إثارة صافية، قد تكون متجهة إلى مكان تزيد خطورته عن ذاك الذي تهرب منه.

- هل من أغطية وشراشف؟.

- أعتقد ذلك.

- وكيف نصل إلى المكان؟.

- يبقي جدّي مركباً في الجانب الآخر من الخليج.

قال: «رائع، أرشديني إلى الطريق الأسرع».

لكنها لم تفعل بل أرشدته إلى أطول طريق ممكن فمن يعلم إذا ما كانت ستتمكن من ركوب الدراجة النارية مرّة أخرى وذراعيها تحتضنان الرجل صاحب الابتسامة المثيرة؟.

أحبّت الدراجة النارية على الرغم من حرمانها الشعور بالهواء يتغلغل في شعرها. كان نسيم الجزيرة يلفح وجهها ويداعب أطراف تنورتها فيما الشمس تلثمها. لقد أغرمت بروعة إحساس اتصالها بكل ما يحيط بها فالهواء يعبق بالعطر والطيور تغرّد والقرود تثرثر على الأشجار. لم تشعر بأنها منفصلة عن محيطها بل أنها جزء منه.

كما انتابها إحساس مثير لاتصالها وتعلّقها به بذراعيها اللتين التفتا حول عضلات جسمه الصلبة وخدها الذي ارتاح على ظهره.

كانت تعلم أن أمها لن تكون مسرورة بهذا وكان بإمكانها تصوّر شعور ماهايل لو رآهما الآن معاً!

شعرت بأنها ترقص في دوامة الخطر، لكنها أحست أيضاً بالحرية والمغامرة وكأن ما من شيء سيحدث.

هذا الصباح فقط كانت حياتها برمّتها مرسومة بوضوح أمام

عينيها، وقدرها محتوماً، والآن صار لديها شعر سيمقته ماهايل كما لا تظن أنه سيحب كثيراً فكرة بقائها مع رجل غريب مدة أسبوع كامل! صرخت عبر الريح: «هل يمكنك القيادة أسرع؟».

وبعد شيء من التردد، انطلق مسرعاً على طول الطريق السريع المتعرّج إلى أن دمعت عيناها وامتلأت إثارة.

رفضت كلياً التفكير في مدة هذه المتعة أو إن كانت تلك المرّة الوحيدة، بل أرجعت رأسها إلى الوراء وأطلقت ضحكة مدوية تعبر عن مدى غبطتها للقائها غير المتوقع مع الحريّة.

٣ - شقاوة وعزيمة

قطع رونان الحبل الذي يربط المركب بالرصيف تاركاً إياه يبحر نحو الشاطئ المهجور. ونظر إلى الأميرة النائمة عند طرف المركب وقد أرهقها تعب النهار الطويل. عندئذ قرّر ألا يدير المحرّك وأن يجذف بهدوء نحو المكان المنشود.

كان الظلام قد حلّ لكن السماء تخطف الأنفاس بمنظر النجوم التي ترصّعها. كما ألقى ضوء القمر وشاحاً أبيض على كل موجة متدفقة ولوّن رمال الشاطئ بظلال فضية.

كانت الجزيرة مثالية من وجهة نظر الجندي. قام رونان بجولة بالمركب حول الجزيرة لمعرفة جغرافيتها فرأى ان مساحتها تبلغ حوالي الثماني كيلومترات وأن أفضل ما فيها اقتصار الأمكان المناسبة لرسو المراكب على شاطئ واحد.

انتشرت في المكان الأشجار الاستوائية الكثيفة والصخور التي تلامس المياه. كانت الجزيرة صغيرة ومليئة بالأعشاب بحيث يصعب أن تحط عليها الطائرات على اختلاف أنواعها.

أما من وجهة النظر الشخصية، ومن وجهة نظره كرجل، ما من مكان أسوأ من هذا. فالجزيرة المهجورة أروع مما تعرضه الأفلام. فالرمال بيضاء ناعمة لا عيب فيها والطيور الغريبة تملأها بالتغريد والنسائم المسائية مثقلة بعبق عطر مثير، فيما أشجار النخيل تتمايل مع الهواء وتحيط بها النباتات والأزهار المتنوعة.

www.elromancia.com

وعلى الشاطئ رأى كوخاً تغطي سقفه سعف النخيل وهو من الأمكنة التي يلجأ إليها الناس لتمضية العطل وشهر العسل وليس للاختباء ما يعتبر أمراً جيداً. فقد شك كثيراً في أن يفتش أحدهم عن الأميرة في هذا المكان.

شد الحبل المربوط بالمركب مرّة أخرى وجرّه نحو الرمال حتى اطمأن إلى أنه آمن حتى من الأمواج العالية التي قد ترتفع ليلاً.

بعدئذ، استرق نظرة إلى أوروورا، أميرته النائمة. كانت الأميرة متكورة في زاوية المركب على سرير من سترات الإنقاذ.

كان القمر يلفها بسحر فضي فيما أضاف شعرها المقصوص جملاً إلى حلاوتها. أذهله طول رموشها وكثافتها، هذه الرموش ألقت بظلالها السوداء على وجنتيها الممتلئتين.

أصرّ على تركيز ناظريه على سترة الإنقاذ لكنه عجز عن منع نفسه من النظر إلى سمرة بشرتها وشعر بجفاف في حلقه.

جزيرة مهجورة وامرأة جميلة وأسبوع كامل. لم يكن بارعاً في العمليات الحسابية لكنه متأكد من أن نتيجة المعادلة ستكون سيئة.

لطالما قام بمهام حماية وكان يفاخر بقيامه بها على أفضل وجه. فقد أمّن الحماية لرؤساء دول وعائلاتهم، وسياسيين وأفراد عائلات ملكية ومدراء شركات.

وكانت القاعدة الرئيسية المعتمدة دائماً عند القيام بمهمة الحماية هي الحفاظ على علاقة رسمية بالشخص الذي تتم حمايته فالتورط العاطفي يلحق الخلل بالمهمة.

لكن ظروف المهام الأخرى جعلت الحفاظ على الروح المهنية أمر سهل وفكرة إقامة أي نوع من العلاقات الشخصية أو حتى الصداقات مع الشخصي المحمي غير واردة. لطالما عملوا ضمن فريق وليس كفرد واحد، ولطالما توفرّت البيئة التي تضمن الحفاظ على حدود واضحة.

أما الآن، فها هو رونان في منطقة جديدة بالكامل ولم يكن يحب ذلك. لذا، وقبل أن يوقظها نظر نحو النجوم يستجمع شجاعته ويذكر نفسه بالمهمة والحدود والقوانين.

وأخيراً قال بنعومة: «استيقظي».

تحركت لكنها لم تستيقظ فانحنى فوقها ولمس كتفها بيده. كانت نحيفة كالقصبة بكتفيها المستديرين اللذين يلخصان نعومتها الأنثوية.

- أيتها الأميرة.

كان يسهل عليه حتماً أن يحملها بين ذراعيه. لكن تلك اللمسة الطفيفة لكتفها كانت بمثابة تحذير كافٍ له يمنعه من أن يلمسها أكثر فيزيد من التهاب حواسه.

قال بصوت اكثر خشونة: «انهضي».

رمشت بعينيها تنظر إليه نظرة الجاهل بالمكان الذي يتواجد فيه. بعدئذ، ركزت عليه وابتسمت ابتسامة تذيب أكثر الجنود احترافاً والتزاماً بواجباتهم.

جلست تنظر من حولها ثم تنهدت بفرح. كانت تحب هذا المكان، وقد أحبّت كثيراً مجرى أحداث النهار.

نزعت عنها سترة النجاة وتمطت ثم وقفت فتأرجح المركب على الرمال وحصل التماس الجسدي الذي كان أكثر ما يخشاه. إذ أمسك بها وثبتها فيما المركب يهتز على الأرض غير المستوية. واقتربت منه خطوة أخرى فاهتز المركب وكادت تسقط على ركبتيها، لكن يديه أحاطتا بخصرها بحيث كادت أصابعهما تلتف حوله. رفعها من المركب ووضعها على الرمال مذهولاً لخفة وزنها، فبالكاد تزن أكثر من حقيبة محشوة.

قالت له: «إنك قوي».

ابتعد عنها بسرعة من دون أن يسمح لإعجابها أن يؤثر فيه.

أسبوع! عليه التحمل مدّة أسبوع.

وسألته غير مكترثة باضطرابه: «المكان جميل. أليس كذلك؟».

وتابعت: «أنا أحبه، جدّي يسمّيه قلبي وجد موطني».

أجابها قائلاً: «أجل، بالطبع».

فالرجال الرجال لا يستعملون كلمات مثل جميل إلا في سرّهم ربما عندما ينظرون إلى وجه كوجهها يضيئه القمر.

مدّ يده إلى المركب وسحب الحقيبة ثم تبعها على الرمال نحو الكوخ ولاحظ وجود أشجار مثمرة من جوز هند وموز ومانغا.

لقد حطّ رحاله في جنة عدن، لكنه يأمل أن يقاوم تفاحتها وحسب.

التزام الحدود!

ومع اقترابهما من الكوخ أخذت الأميرة تركض، أو ترقص بالأحرى على الرمال. بدت أشبه بحورية تحت ضوء القمر بساقين فضي اللون.

تبعها ببطء وكأنه بذلك يؤخر لحظة إقامتهما في المكان ذاته وقيامهما معاً بالأعمال المنزلية واقترابهما من بعضهما البعض أكثر.

عند انضمامه إلى فريق اكسكاليبر، خضع رونان لاختبارات تمتحن قدرته على التحمل وقوته الجسدية والفكرية وقدرته على التأقلم مع الضغط النفسي. وقد نجح رجل واحد من أصل عشرين تقدّموا للانتساب إلى الوحدة في الاختبارات. الانتماء إلى الفريق يعني أنه يتمتع بالقوة والسرعة والصلابة فكراً وجسداً أكثر من أي رجل عادي.

ومع ذلك، فإن العيش في الكوخ القائم على الجزيرة مع أميرة حقيقية يمتحن قدراته بشكل لم يخضع له سابقاً. أمضى برفقتها أقل من أربع وعشرين ساعة ليشعر وكأنه يخضع لاختبار يفوق قدرة البشر!

وأخذ نفساً عميقاً وهو يتبع خطواتها الواسعة نحو الباب الذي ظن أنه يفتح على شرفة. لكن حين تكيفت عيناه مع غياب ضوء القمر في الداخل، أدرك أنه مخطئ، فهذه ليست شرفة تحيط بها الستائر بل منزل تحيط به الستائر. منزل صيفي كما قالت مصمّم ليداعب النسيم كافة زواياه في ليالي الصيف الحارّة. أما السقف المرتفع فيحميه من سوء الأحوال الجوية وهو أمر نادر الحدوث على تلك الجزيرة.

كانت الستائر البيضاء الرقيقة تتمايل مع النسيم العليل مضفية جواً من الغرابة والسحر على المنزل كما غطت أرض الغرفة الأساسية طبقة خشبية عتقها الزمن ونثر عليها القمر ضوءه. كانت الكراسي الخيزرانية الزاهية الألوان تحيط بإحدى الطاولات وتوحي بالاسترخاء.

والحميمية.

وفي الطرف الأخر من الغرفة، لمح مساحة مخصصة لطاولة طعام محفورة بعناية واتقان وكراسٍ قديمة فخمة داكنة اللون. إن ترك مثل هذا الأثاث الثمين في كوخ غير مقفل يؤكد مدى أمان الجزيرة لكن رونان أدرك أن الأخطار المحدقة به لا تأتي من الخارج بل من داخل الكوخ.

كانت الستائر كما الجدران مضاءة بشكل رائع بحيث توحي بأنّ لا شيء يفصل بين المساحة الداخلية للمنزل والخارج.

وقع نظره على مصباح فأشعله متمنياً أن يطرد ضوء السحر المسيطر على المكان، لكن وميض الفتيل الذهبي وتمايله مع النسائم أضفيا جواً من الرومنسية والنعومة والدفء على الغرفة.

بدا الضوء ناعماً على وجهها الذي علته تعابير الذهول وهي تنظر من حولها تسترجع الذكريات السعيدة.

تمنى رونان لو تعترض وتحتجّ على شباك العنكبوت المنتشرة وغياب الكهرباء ليبعد نفسه عن موجة الانجذاب التي غمرته من دون إذن.

وأسرع يجتاز الغرفة نحو باب خلفي وجده يؤدي إلى مطبخ خارجي، يحوي فرناً على الحطب ومشواة فيما الرفوف المكشوفة مثقلة بالمعلبات. يمكن للمرء أن يخيّم هنا على هذه الجزيرة مدّة سنة من دون أن ينقصه شيء.

ووسط خمائل الأزهار والنبات وجد مكاناً للاستحمام في الهواء الطلق، فعادت تلك الموجة التي هرب منها تكتسحه من جديد.

عاد إلى المنزل متردداً، ممتناً لعدم رؤيتها مباشرة. وأنهى استكشافه للمنزل فوجد غرفتين عدا الغرفة الرئيسية، إحداهما هي غرفة النوم الرئيسية التي تحوي سريراً ضخماً تحيط به أعمدة خشبية وستائر بيضاء. وكانت الستائر تلعب دور الجدران الخارجية فتوحي بأن السرير وضع وسط أشجار النخيل والمانغا. دغدغ عطر آلاف الأزهار أنفه فيما تناهت إلى مسمعه همسات البحر المرتل للأشعار. وخرج من الغرفة مسرعاً.

كانت الأميرة شوشونا تشغل أصغر غرف النوم.

- لطالما أقمت في هذه الغرفة عندما كنت طفلة! انظر كيف يشعر المرء وكأنه في الخارج! لقد صمّم جدّي هذا المنزل فهو مهندس وهكذا أصبح فرداً من عائلة براناشا. سوف أشغل هذه الغرفة!

كان يفضل لو طلبت البقاء في الغرفة الكبرى، وتصرفت بعنجهية وغرور لساعده ذلك في خنق موجة الانجذاب التي تغمره.

اقترح قائلاً: «أعتقد أنه يجدر بك البقاء في الغرفة الكبرى فأنت الأميرة هنا».

- ليس لهذا الأسبوع.

وابتسمت مغتبطة باعلانها هذا.

ليتها ليست الأميرة، ليتها مجرّد فتاة عادية... وقطع حبل أفكاره. لا يهم حتى لو كانت مجرّد غجرية فستبقى مهمته حمايتها.

مدّ يده إلى جيبه وسحب سكيناً قطع بها الحبل الذي يلف الفراش. ووجد الأغطية في صندوق تحت السرير وقد وضعت بينها أكياس صغيرة معطّرة فاحت رائحتها عندما مدّ الشراشف البيضاء على السرير.

وجدها تتأمله فسألها مشككاً: «ألا تعرفين كيف ترتبين السرير؟».

ثم تساءل لما يتفاجأ من جهل أميرة بكيفية ترتيب السرير.

في الواقع، كان يسهل نسيان حقيقة أنها أميرة بشعرها المشعث المقصوص وثيابها الرثة غير المناسبة.

لكن هذا تماماً ما عليه تذكره، إبقاء مسافة وحدود بينهما، والتصرّف بحس مهني واحساس بالواجب.

إنها أميرة فعلاً، أميرة حقيقيّة، وهو جندي. أميال عدة تفصل بينهما وينبغي أن يبقى الوضع على هذا النحو.

قالت بحزن: «لم تكن أمي لتسمح لي بالقيام بمثل تلك الأمور. فبرأيها مثل هذه الأعمال تقوم به الخادمات والعامة. هي نفسها كانت من عامة الشعب ولم تستطع يوماً تخطي هذه المسألة وما تنطوي عليه من عدم الشعور بالأمان».

لم تكن تعرف كيف ترتب سريراً.

كل جندي تعرّض يوماً ما للتعذيب فأجبر على ترتيب سرير رقيب نكد لا يعجبه شيئاً. رونان نفسه يعرف كيف يرتب سريراً بشكل مثالي في أي زمان ومكان.

التركيز على الفروقات بينهما سيعزز إرادته. والنظر إليها على أنها مدللة وعديمة الفائدة سيساهم إلى حدّ بعيد في محو ذكرى جسمها الناعم الملتصق بظهره على الدراجة النارية.

قال لها: «سيسرني ترتيبه لك أيتها الأميرة».

حدّقت فيه وقالت: «لا أريدك أن ترتبه لي! بل أن تعلمني كيف

www.elromancia.com

أرتبه بنفسي».

كان متعباً، فهو لم يتسّن له الوقت لأخذ قيلولة وقد جذف لساعتين في المركب. أما هي فنامت لساعة أو أكثر منذ أن انتظرا حلول الظلام ليأخذا مركب جدّها من المرسى من دون أن يراهما أحد. سيكون أسهل عليه أن يرتب لها السرير بنفسه لكنه سيمضي أسبوعاً كاملاً برفقتها ولن تمر الأمور بسهولة إذا تجادل معها حول أمور بهذه التفاهة.

ترتيب السرير سوياً ليس بنقطة انطلاق جيدة نحو الحفاظ على مسافة بينهما.

انتابه شعور مزعج يقول له بضرورة التكيّف مع حقيقة أنه لن يتمكّن من إحراز النقاط أو ربح أي معركة يخوضها معها.

وعثر على الشراشف التي يجب وضعها على الفراش.

قال لها: «ضعي هذه على الفراش».

أسرعت نحو السرير تقول قبل أن يتسنى له فرصة الشرح: «سأفعل».

رفع يديه في حركة استسلام وتراجع إلى الوراء محاولاً ألا يمتعض من عدم لباقتها. لم يعرض عليها المساعدة وهي تكابد في رفع زوايا الفراش.

أعطاها الغطاء الآخر محاولاً الحفاظ على ملامح خالية من أيّ تعبير وهي تضعه تحت الفراش بطريقة عشوائية.

وضعت طرف لسانها بين أسنانها وهي تركز بغضب على انجاز المهمة التي بين يديها فيما عقد بدوره ذراعيه فوق صدره طالباً الصبر. وضعت الوسائد على الفراش بطريقة خاطئة تماماً، ثم سلّمها الغطاء الذي وضعته كيفما اتفق فوق السرير غير المرتب.

بدا السرير وكأنه خرج لتوه من كابوس ما، لكنها ابتسمت وهي

تنظر إلى ما صنعته يداها.

قالت: «أرأيت، يمكنني القيام بالأعمال العادية».

فأجابها بوجه لا تظهر عليه أي تعابير: «أجل، أرى ذلك بوضوح».

لكن لا بد أن شيئاً ما في نبرة صوته خانه، إذ نظرت إليه مشككة.

كان العريف ليأمره بترتيبه مجدداً، لكنه ليس العريف بل مجرد رجل عادي يحاول النجاة في تلك اللحظة.

قال: «حسناً، إن كنت قد...».

- سأرتب لك سريرك لمزيد من التمرين.

قال لها بلهجة حادة: «ولمَ تحتاجين للتدرب على تريب الأسرّة؟».

لم يشأ أن تلمس شراشف سريره.

وفجأة، ازداد إدراكه لعزلتهما ولرطوبة هواء البحر التي جعلت ملابسها تلتصق بجسمها وجعّدت شعرها. كما لاحظ جيداً لسانها بين أسنانها.

تجاوزته واتجهت نحو الغرفة المجاورة فمشى خلفها بتردد وراقبها وهي تفتح الصندوق حيث الأغطية وتضعها على السرير.

أعلنت: «سوف أقوم بجميع الأمور العادية هذا الأسبوع».

لم يعرض عليها المساعدة في ترتيب سريره بل راقبها مرتاعاً في سرّه من الفوضى التي تحدثها وسألها: «مثل ماذا؟».

ردّت: «الطهو!».

- بالكاد أستطيع الانتظار.

وعادت ترمقه بنظرات مشككة وأكملت: «وغسل الصحون، والملابس، ستعلمني أليس كذلك؟».

كانت تتكلم بكثير من الحماسة حتى ظن أنها تمزح وتستخف به،

www.elromancia.com

لكنه أدرك من تعابيرها التي تحمل توقاً حقيقياً أنها تقصد ما تقول.

كيف يمكن لرجل أن يحافظ على سلوك مهني مع أميرة لا تريد سوى أن تكون مجرّد فتاة عادية، فتاة تثيرها فكرة القيام بالأعمال العادية في الحياة؟.

وهز رأسه بحذر.

- أود أن أتعلم تركيب الأزرار. هل تعلم كيف يفعلون ذلك؟.

ترافق تركيب الأزرار، والشارات، وخياطة حواشي السراويل مع تعليمه ترتيب الأسرّة أثناء تدربه للانضمام إلى القوات البحرية، لكنها لم تنتظره حتى يجيب.

- ولا أستطيع الانتظار حتى أسبح في مياه المحيط! اعتدت السباحة هنا وأنا طفلة. وأحب ذلك كثيراً.

تخيلها في ثوب السباحة الذي اختارته مع الملابس وأغمض عينيه يستجمع قواه.

سألته: «هل تعلمت ركوب الأمواج؟ ثمة لوح أسفل الكوخ آمل أنه لا يزال هناك!».

لقد أمضى أيام شبابه في ركوب الأمواج. ولعل حبه للأمواج أنقذه من الانحراف، وحاجته لمعايشة الظروف غير العادية وسحق قوتها.

قال لها: «يبدو أن مياه الخليج لا تسمح بممارسة هذه الرياضة فهو مغلق من كافة الجوانب».

بدت عليها الخيبة لكن سرعان ما أشرق وجهها من جديد وقالت: «ثمة معدات للسباحة تحت الماء يمكننا أن نستعملها».

نستعملها، وكأنهما مجرّد ولدين يمضيان العطلة معاً. حان الوقت لتعرف أنه لا ينوي لعب دور الرفيق، لكنه عاد وأقفل فمه.

ربتت على سريره بلمسة نهائية تنمّ عن الرضا وقالت: «حسناً،

عمت مساءً رونان. لا أستطيع الانتظار حتى الغد!».

وأرسلت له قبلة في الهواء، لكن هذا أفضل من تلك التي طبعتها على وجنته سابقاً.

مسح وجنته وكأنها طبعت قبلتها عليها فعلاً، ما أثار انزعاج الرجل الذي لطالما تباهى بطبيعته اللامبالية. انتظر حتى استلقت في سريرها ثم مشى على رؤوس أصابعه يتفقد محيط المنزل.

كان الليل ساكناً إلا من صوت الطيور الليلية أما المحيط فمعتم وهادئ، تنيرهُ النجوم وضوء القمر، بعد أن خفتت الأضواء القليلة البعيدة.

عاد إلى غرفة نومه. كان يعرف أنه بحاجة للنوم فهذا سيجعل تفكيره صافياً ومنظماً. وكان قد اكتسب على مدى السنين نعمة يتحلى بها الجنود وهي النوم في حال من الجهوزية بحيث يوقظهم أي صوت غير عادي. واعتمد على حاسّته السادسة لتحرسهما طوال الليل.

خلع قميصه لكنه أبقى سرواله فهو لا يرغب حتماً في أن تراه في ملابسه الداخلية سيما إذا اضطر للخروج من السرير بسرعة أثناء الليل. لا بد أن مخيّلته أوحت له بأن عطرها ينتشر بين الشراشف والأغطية. ومع أنه متعب ظل يتقلّب في السرير إلى أن نهض بعد حوالى الساعة فأعاد ترتيب فراشه ليعود ويتسلل إليه وينام على الفور.

استفاقت شوشونا على الأشعة المتسللة إلى الغرفة وتغريد الطيور وتلاطم أمواج البحر. وتذكرت أنها على جزيرة جدّها ونجاتها بأعجوبة من الزواج والهدايا غير المتوقعة التي حصلت عليها بالأمس، من ركوبها الدراجة الهوائية وشرائها ملابس السباحة وسروالاً قصيراً فضلاً عن رونان والإحساس بعضلات ظهره وهما يركبان الدراجة النارية معاً والشعور بيديه القويتين تحيطان بخصرها.

كان رونان رجلاً بامتياز بكل تلك العضلات المفتولة والحركة

السريعة والقوة الطبيعية والثقة الكبيرة بقدراته إضافة إلى صوته الحازم ولكنته الغريبة. وعيناه! إنهما عينا جندي من دون شك بتلك النظرة الحازمة. لكن عندما سقط القناع والتمعت تلك الضحكة فيهما، اقشعر جسمها بطريقة لم تتوقعها. كان يبعث فيها مزيجاً غريباً من الأحاسيس: الحماسة والخجل والحنق والانزعاج والحياة.

علمت شوشونا أن أفكارها غير مقبولة فقدرها أن تكون لشخص آخر. ومع ذلك خطر لها أنه لو أمكن لها أن تختار رجلاً لتمضية أسبوع برفقته على جزيرة مهجورة، لاختارت رجلاً كرونان.

هزت رأسها تنفض شقاوة الأفكار التي ملأته فشعرت به خفيفاً بشكل غير طبيعي وتذكرت أنها قصّت شعرها.

كانت قد لمحته على مرآة الدراجة لكنها قفزت الآن من السرير ونظرت إلى نفسها في المرآة!.

بدا فظيعاً بخصلاته المشعثة من جراء النوم لكنها مع ذلك وجدت أنها أحبته إذ جعلها تبدو وكأنها لا تزال تخوض مغامرتها وأنها ليست أميرة أمضت حياتها في قصر! في الواقع، شعرت أنها تحب الحياة هذا الصباح، وأنها متشوقة لمعرفة الهدايا التي يحملها لها يومها مهما كانت. متحمسة للتعرف إلى رونان بشكل أفضل.

لكن أليس في ذلك خيانة للرجل الذي وعدت أن تكون له؟

ليس بالضرورة فهذه فرصتها لتكون فتاة عادية وستستغلها.

أدركت أنها لم تشعر بمثل هذه السعادة والأمل منذ أن وافقت على عرض الأمير ماهايل. فحتى هذا اليوم كانت تستيقظ على إحساس بالانقباض في معدتها غير مصدقة بأن شراء جهاز العرس من أفخر متاجر العالم يحبط آمالها إلى هذا الحد. كانت تنهض كل صباح مع إحساس متزايد بالرعب وكأنها سجينة بدأ العدّ العكسي لموعد شنقها.

انقبضت معدتها بشدة حين تذكرت أن المهلة التي أعطيت لها

مؤقتة.

لكنها رفضت التفكير في ذلك الآن. رفضت إضاعة لحظة واحدة ثمينة من وقت الحرية.

كان رونان قد ترك الحقيبة في غرفتها فبدأت تفتش في محتوياتها حتى وجدت السروال القصير والسترة الضيقة الحمراء اللون. ارتدتهما واستدارت أمام المرآة وقد ازداد إحساسها بأنها فتاة عادية.

كانت أمها لتمتعض من هذا السروال الذي يظهر ساقيها ومن سترتها التي تلتصق بجسمها ما جعلها تحب ملابسها أكثر. أحبت ملمس النسيم الدافئ على جسمها، وإحساسها بالحرية والنعومة والراحة.

خرجت من غرفتها لتجد غرفة رونان فارغة. توقفت عندما رأت السرير مرتباً وترددت قليلاً ثم دخلت تتفحصها. كان السرير مرتباً بعناية والغرفة مفعمة برائحته، عطر رجولي يولد الشعور بالخدر.

عادت إلى غرفتها تسوّي الأغطية المبعثرة بما يشبه ترتيب ذاك السرير، ثم انطلقت بحثاً عن رونان.

وجدته في المطبخ الخارجي وإلى جانبه سلة من الفواكه التي يقشّرها ويقطعها. وقفت تراقبه للحظة تستمتع برؤيته وهو يؤدي مهمة بهذه البساطة لكنها احمرّت عندما التفت نحوها ورفع حاجبيه. كان يعرف أنها تقف هناك تراقبه!.

ولاحظت شرارة ما في عينيه وهو ينظر إلى ملابسها قبل أن يسارع إلى إخفائها. لم يظهر أي أثر لتلك الشرارة في نبرة صوته وهو يقول لها بشكل رسمي: «هل نمت جيداً أيتها الأميرة؟».

بدا بعيداً كل البعد عن ذاك الرجل الذي شاركها ضحكاتها البارحة فأرادت أن تكسر الحاجز القائم بينهما. ما نفع عيشها كفتاة عادية إن كانت ستحيا وحيدة على الجزيرة؟ إن لم يشاركها هذا الرجل

www.elromancia.com

إثارتها؟ قالت له: «عليك أن تناديني شوشونا».

- لا أستطيع.

حدقت فيه قائلة: «آمرك بذلك».

ضحك بأعلى صوته ضحكة كتلك التي صدرت عنه البارحة والتي جعلتها تتوق لمعرفته أكثر، للتعرف إلى شخص حقيقي.

- أمرك لن يطاع أيتها الأميرة. ولن أناديك باسمك.

- لماذا؟.

- لأن ذلك يرفع الكلفة بيننا وأنا حارسك الشخصي ولست صديقك!

شعرت بكلامه يلسعها وبخيبة عارمة فهو يريد عكس ما تريده تماماً. أرادت أن تشعر بأنها قريبة من كائن بشري ما فيما أراد هو أن يبقى بعيداً. أرادت أن تستغل الوقت لاكتشاف خفاياه، وكان مصمماً على إبقائها سرّاً.

كان الأمر مثيراً للغيظ! كانت أمها لتؤيد سلوكه هذا، سلوك رجل يعرف مكانته ويصمم على الحفاظ على موقعيهما المختلفين كحاجز بينهما. لكن جدّتها كانت لتحبه فهي تقول إن الجنود هم أفضل الأزواج لأنهم يعرفون مسبقاً معنى الطاعة. إلا أنه لم يبدِ أي طاعة لشوشونا.

لم تشأ أن تجمع بين اسم هذا الرجل الوسيم وكلمة زوج في جملة واحدة فبالكاد نجت من ذاك الزواج ومن قدرها المحتوم.

ومع ذلك، بقيت ترغب في أن يشاركها المغامرة التي تعيشها.

أنّى لها أن تنسى أنها أميرة، وتغفل واجباتها والتزاماتها لبرهة، إن كان يصرّ على تذكيرها على الدوام بلقبها؟.

وسألته: «ماذا عن استعمال الاسم المرّمز؟».

تردّد ونظر إليها ثم هزّ كتفيه. لم تستطع أن تعرف ما إذا كان هذا

اتفاقاً بينهما أم أنه يسترضيها، لكنها شعرت بأنه قدّم تنازلاً كبيراً.

وفجأة، رفض النظر إليها، وحصر تركيزه على الفواكه التي أمامه.

قالت وهي تتجه نحوه: «سأفعل هذا».

هل ابتعد عنها خطوة؟.

واقتربت أكثر فابتعد مجدداً ومن دون أن ينظر إليها أعطاها سكيناً صغيراً وحبّة مانغا.

قال لها بخشونة: «لا تقطعي أصابعك».

راقبته لبرهة كيف يستعمل السكين ويزيل قشرة الثمرة. وعندما لاحظ أنها تراقبه مجدداً وضع السكين من يده وانصرف يضع الحطب في الفرن.

سألته بحماسة: «ماذا سنضع في الفرن؟».

- سأخبز بعض البسكويت.

- أريد أن أتعلم كيفيّة صنعها.

- لماذا؟.

فقالت بعناد: «يبدو لي أنها مهارة مفيدة».

- إنها مهارة مفيدة لشخص مثلي يجد نفسه مضطراً للعيش في ظروف صعبة. لكن بالنسبة لأميرة مثلك؟

- أريد أن أتعلّم القيام بالأمور النافعة!.

قال لها بنبرة حاول أن تكون لائقة: «ما هو نافع في عالمي يختلف كثيراً عما هو مفيد في عالمك».

التقطت ثمرة المانغا بتمرّد وبدأت إعمال السكين فيها. وبعد مرور عشر دقائق وفيما هي تنظر إلى قطع الفواكه أمامها أو بالأحرى إلى ما تبقّى من الثمرة، أدركت أنه محق. التعوّد على القيام بالأعمال المنزلية في هذه المرحلة أمر لا أمل منه إذ كانت يداها دبقتين من سكر الثمرة الذي وصل حتى مرفقيها.

رمقته بنظرة ذات مغزى. كان رونان يُخرج قطع البسكويت الذهبية من الفرن فسال لعابها لرائحتها الشهية.

قالت وهي تسلّمه بقايا ثمرة المانغا: «تفضل!».

أخذها من دون أن ينطق بكلمة واحدة وأضافها إلى القطع الأخرى التي سبق وأعدّها.

ظنت أنهما سيأخذان ما حضراه إلى غرفة الطعام، لكنه أشار إلى مقعد حجري صغير، ووضع الصحن بينهما ثم رفع وجهه نحو الشمس وهو يتناول قطعة بسكويت.

حذت حذوه والتقطت قطعة فواكه وشريحة بسكويت.

كانت شوشونا قد تناولت أفضل أنواع الطعام في العالم، وجلست إلى أفخم موائد براناشا مستخدمة أثمن الصحون والملاعق لكن خيّل إليها الآن أنها لم تتذوق قط طعاماً أشهى أو تستمتع بمثل هذا الطعام من قبل.

ورأت أنها أحبت كل شيء، كل شيء من دون استثناء في حياتها كفتاة عادية. ولم تستسلم بعد وتقرّ بفشلها في الأعمال المنزلية العادية.

٤ - ما هو الحب؟

بعد بضع دقائق لاحظت شوشونا أن متعتها ببساطة هذا الفطور أحادية الجانب.

أما رونان الذي كان يستمتع بأشعة الشمس ويتناول الطعام بشهية ذكورية، فبدا مستغرقاً في التفكير، منطوياً على نفسه، حريصاً على عدم إقامة أي تواصل معها أو فتح المجال لها كي تتواصل معه.

سألته تحاول التحدّث إليه، يدفعها الفضول للتعرف إلى الرجل الذي بات يحميها: «هل تستمتع بتناول الفطور؟».

هز رأسه بفظاظة.

وأدركت أن عليها التعامل معه بطريقة مباشرة أكثر فسألته مجدداً: «أخبرني عنك».

رمقها بنظرة حادّة ثم حدق في البعيد وقال: «ليس هناك ما أخبرك به. أنا جندي وهذا يعني أن جزء كبيراً من حياتي عبارة عن ضجر تام».

وافترضت أن المرء لا يتعلّم كيف يرتب السرير بالطريقة التي فعلها إن لم تكن حياته عبارة عن تشويق مستمر، لكنها تعلم أنه لا يعترف بالحقيقة. كانت واثقة من تماسكه والهدوء الذي يتعامل به مع الأمور أنه تعامل مع أكثر الأوضاع خطورة بارتياح كما يقرأ أي رجل صحيفة الصباح.

سألته حين بدا واضحاً أنه لن يضيف أي كلمة أخرى طواعية: «وماذا عن الجزء الآخر؟».

- اللعنة، حرية تامة.

www.elromancia.com

قالت بنبرة متحمّسة: «حقاً!».

وأضافت «اللعنة! يبدو هذا مشوقاً».

قال لها متجاهلاً رغبتها في أن يشاركها بعض أكثر تجاربه إثارة: «أتمنى ألا تكرري تلك الكلمة».

- اللعنة، اللعنة، اللعنة، اللعنة!

كررت الكلمة لتجد أنها تمنحها شعوراً بالتحرر وبالمتعة. كان مجتمعها يقدّر تهذيب النساء لكنها اكتشفت أنها ليست متحمّسة لأن يقدّرها أحد!.

رمقها بنظرة حادّة فابتسمت له. هذا الرجل ليس والدها في النهاية فهو لا يكبرها بسوى بضع سنوات ولا يستطيع إجبارها على حسن التصرف! تنهد باستسلام فأملت ألا يكون في نيته السيطرة عليها إذ خضعت للسيطرة بما يكفي. هذا الأسبوع ملك لها لتفعل به ما تشاء بما في ذلك قول كلمة اللعنة. ألحت أكثر وسألته: «ما أكثر الأمور المشوّقة التي حصلت لك؟».

أغمض عينيه ورفع ذقنه قليلاً نحو الشمس ثم أخذ قضمة من البسكويت مصمماً على ما يبدو على التظاهر بأنه يتناول الطعام ويتجاهل وجودها وأسئلتها تماماً.

فكر في الأمر للحظة، ثم تردّد كثيراً في متابعة الحديث معها قبل أن يقول أخيراً: «صادفت دباً أغبر بينما أنا على أحد الجبال في كندا أخضع لتمرين البقاء على قيد الحياة».

أخذت نفساً عميقاً وقالت: «حقاً؟ وماذا حصل؟».

جاءت الإجابة أفضل مما توقعّت وحتى أفضل من فيلم سينما! انتظرته حتى يخبرها القصة التي تخيّلتها لرونان وهو يصارع الحيوان الضخم ويلقيه أرضاً بيديه العاريتين...

- ركض هو في اتجاه وأنا في الآخر.

قطبت جبينها، وقد خاب ظنها كثيراً: «لا يبدو هذا مشوقاً جداً».

- أظن أنه كان عليك التواجد هناك.

- أعتقد أني قد أحب الذهاب إلى جبال كندا.

بالرغم من وجود الدببة أو ربما بسبب وجود الدببة، بدا الأمر مغامرة ستستمتع بخوضها كثيراً. وسألته: «هل الجبال جميلة؟ هل تغطيها الثلوج؟».

- أجل على السؤالين.

وسألته بشوق: «وكيف هو الثلج؟».

- بارد.

- لا. أقصد ما الشعور الذي يثيره فيك؟.

حاول التهرب من الإجابة مجدداً، لكنه الشخص الوحيد الذي تعرفه وقد اختبر الثلج وعليها أن تعرف.

- ليس له شكل واحد.

بدأ حديثه بقول القليل وكأنه يتحسس حاجتها لأن تعرف ثم أكمل: «إن كان الثلج بارد جداً فهو خفيف وأشبه بغبار جليدي. أما إذا كان أكثر حرارة فهو بارد ورطب وملتصق ببعضه البعض، وفي هذه الحالة يمكنك استخدمه للبناء».

- لصنع رجل الثلج مثلاً.

- أجل، أفترض ذلك. لقد بنيت منه كهفاً ذات مرّة.

- وأي نوع أفضل للتزلج؟.

- البارد والجاف. ما الذي تعرفينه عن هذا الموضوع؟

- لا شيء. لقد رأيته على التلفزيون ولطالما رغبت في تجربته. تملكتني رغبة خفية في أن أرى أموراً مختلفة عن تلك الموجودة هنا وأكثر منها جمالاً.

www.elromancia.com

فقال لها: «لا أعلم إن كان هناك ما هو أجمل من هذا. إنه نوع مختلف من الجمال، أكثر خشونة. فالمنظر هناك يوحي بالقوة أكثر منه باللطف. وهو يذكر الإنسان بصغر حجمه ومدى قوة الطبيعة».

خيّل له فجأة أنه تكلم كثيراً فأضاف فجأة: «أنا واثق من أن زوجك سيأخذك إلى هناك إذا أردت».

وحان دورها الآن لتحملق فيه. لم تشأ أن يذكّرها في هذه اللحظة أنه سرعان ما سيشغل حياتها زوج.

قالت: «أنا شبه واثقة من أن الأمير ماهايل يهتم بمسألة التزلج على الثلج بقدر ما يهتم بتعليم الجاموس الرقص».

عندئذ حملق فيها وخفض ذقنه ثم سألها: «ألا يحب السفر وتجربة أمور جديدة؟».

بات ينظر إليها الآن باهتمام.

انتابها شعور يشبه الذعر وقالت: «لا أعرف ماذا يحب».

كان صوتها مخنوقاً وشعرت بنفسها فجأة تبكي فنظرت إلى حضنها محاولة منع دموعها من الانهمار.

كان مصيرها أن ترتبط للأبد برجل غريب عنها، وعلى الرغم من أن السماء أشفقت عليها ومنحتها مهلة، إلاّ أنها لا تضمن عدم حدوث ذلك الارتباط.

فقال لها رونان: «اسمعي. لا تبكي».

بعد الأحداث التي حصلت لها بالأمس بما في ذلك تعرّضها لإطلاق النار كانت هذه المرّة الأولى التي تلمح فيها الرعب في ذلك الصوت الهادئ.

قالت: «أنا لا أبكي».

ومسحت الدمعة المنسكبة على خدّها بغضب. لم تشأ أن ينظر إليها على هذا النحو لأنه يشفق عليها. وذكّرت نفسها بأنها هي من يفترض

بها التعرف إليه وليس العكس.

سألته وهي تحاول يائسة أن تبدو نبرتها عادية وأن تغيّر الموضوع من دون أن تضيع دقيقة واحدة في التفكير بكل تلك المغامرات التي لن تعيشها حين تتزوج ماهايل: «ما الذي دفعك لأن تكون جندياً؟».

التمع شيء ما في عينيه. أهو الشفقة؟ أم التعاطف؟ وقال: «عشت حياة أسرية مفككة وأنا ولد، لهذا بحثت عن حياة روتينية متينة تسير على قواعد محددة. وقد وجدت ما كنت أبحث عنه».

نظر إليها عن كثب ثم تردّد قبل أن يقول: «وستفعلين أنت ذلك. ثقي بي».

إنه رجل يسهل الوثوق به وتصديقه لأنه يملك الأجوبة عن كافة الأسئلة.

- ألم تختر حياة صعبة؟

طرحت عليه هذا السؤال فيما كانت ترغب في أن تسأله كيف ستفعل ذلك؟ وكيف لها أن تجد ما تبحث عنه وهي لا تعرف أين تبحث أصلاً؟.

هز كتفيه وعاد يرفع ذقنه مجدداً نحو الشمس وقال: «شعار وحدتنا غير الرسمي هو اعمل جاهداً أو عد إلى منزلك. البعض يرى عملنا صعباً أما أنا فأعتبره تحدياً».

هل من طريقة خفيّة تسأله فيها عما تريد معرفته فعلاً، فضلاً عن سؤالها عن كيفية العثور على ما تبحث عنه؟ من غير اللائق أن تسأله بهذه السرعة. لكن لن يتسنى لها أن تتواجد وحدها على جزيرة برفقة رجل وسيم إلى هذا الحد.

كان عليها أن تعرف. عليها أن تعرف إذا كان حرّاً غير مرتبط مع أنها هي نفسها ليست حرّة أو حتى قريبة من الحرية.

- هل لديك حبيبة؟

www.elromancia.com

وتمنت ألا تحمر وجنتاها.

فتح عينيه وحملق فيها ثم عاد فأغمضهما قائلاً: «كلا».

- ولم لا؟.

وفجأة وصلت قدرته على التحمّل إلى حدّها الأقصى فظهر ذلك الخط الحازم حول فمه وقال: «ما هذا؟ أهو تحقيق في مقهى الثانوية؟».

- ما هو مقهى الثانوية؟

- لا يهم! ليس لدي حبيبة لأن أسلوب حياتي لا يسمح بذلك.

- لماذا؟.

وتنهد، لكن هذا لم يحبط عزيمتها. فقد اختارت أن تمضي الأسبوع في التحدث إليه أو التحدث إلى نفسها. وقد شعرت في تلك اللحظة أن بقاءها يعتمد على التركيز على حياته وليس حياتها.

لعل يأسها بدا واضحاً إذ قال لها: «أنا أسافر كثيراً. ويمكن استدعائي إلى خارج البلاد لأشهر. أنا أفكك العبوات وأقفز من الطائرات».

اتهمته قائلة: «إذا، فرؤية الدب الأغبر ليست أكثر التجارب التي عشتها تشويقاً».

- حسناً إنها إحدى التجارب المشوقة التي يسمح لي بالحديث عنها، فمعظم ما أقوم به سري.

- وخطير.

هز كتفيه قائلاً: «خطير بما يكفي لأقرر أنه من غير المنصف أن يكون لي حبيبة أو عائلة».

قالت له باهتمام: «لست واثقة من ذلك. ما هو غير المنصف في أن تكون على حقيقتك؟».

نظر إليها بفضول فشرحت له ما عنته بكلامها: «أفضل ما في

الحياة هو حماسنا لها، فهذا يجعل الناس مفعمين بالحياة وكاملين، أليس كذلك؟ هذا ما يجب أن تريده الحبيبة لك. حياة مكتملة وسعيدة حتى لو كانت خطرة».

كانت تشعر بشيء من الإحراج وهي التي لم تحصل يوماً على حبيب إذ شعرت بكل هذه الثقة حول مواصفات الحبيب التي يجب أن تكون له. وأحزنها نوعاً ما أن الشغف والقدرة على الإحساس بالحياة والاكتمال هي الصفات التي فقدتها في مكان ما على الطريق الطويل.

سألها وكأنما ليؤكد كل ما أضاعته أو لم تكتشفه: «وأنت، ما أكثر التجارب التي عشتها إثارة؟».

إطلاق النار عليّ، قصّ شعري، ركوب الدراجة النارية.

تجارب حياتها الأكثر تشويقاً حصلت بالأمس. بدا الاعتراف بذلك مثيراً للشفقة، لكنه ضاعف إحساسها بالحاجة إلى استغلال هذا الأسبوع لتعيش.

وقالت: «أخشى أنه سرّي».

وحصلت على مكافأتها عندما ابتسم لكنه عاد وأفسد الأمر كلياً عندما داعب ذقنها بلطف وكأنها طفلة مدلّلة ثم حمل الصحون ووقف.

لاحظت شوشونا عودة ذاك الشعور بالذعر إلى معدتها وقالت: «سأرتدي ملابس السباحة لأسبح، فهل تأتي؟».

نظر إليها وأجاب: «كلا، سأهتم بأمر الصحون».

- يمكننا غسل الصحون لاحقاً معاً. يمكنك أن تعلّمني كيف أقوم بذلك.

أطلق شتيمة بصوت خافت فكررتها. وعندما رمقها بتلك النظرة الحازمة، قالت الكلمة مجدداً.

عندئذ، أغمض عينيه وأخذ نفساً عميقاً كرجل يستجمع كل قواه، فعلمت من دون أدنى شك أنه يخشى هذا الأسبوع بقدر ما تتطلع هي

www.elromancia.com

إليه. قال لها: «ما رأيك في أن نغسل الصحون الآن؟ لا أظن أنك تريدين ترك الصحون حتى يتجمّع عليها البعوض».

ثم أضاف بلهجة المستسلم: «وسأعلمك كيف تحضرين البسكويت إن كنت تريدين ذلك حقاً».

نظرت إليه مشككة، فهو لا يبدو من النوع الذي يكترث للبعوض بل لعله تناولها في بعض الظروف! كما أنه حتماً ليس من النوع الذي يحب أن يعطي دروساً في الطهو.

ولم يبقَ أمامها سوى استنتاج سوى واحد. لم يكن يحب الماء، لكن هذا ليس صحيحاً. وتذكرت تلك النظرة على وجهه عندما أعاد أمس ثوب السباحة الزهري إلى الرف في المتجر.

وفهمت ما الأمر تماماً!

لم يكن رونان يريد أن يراها تلبس ثوب السباحة، ما يعني أنه يجدها جذابة وهو لا يريد ذلك.

سرت قشعريرة في أوصالها وساورها شعور لم تشعر به منذ وقت طويل، هذا إن شعرت به أصلاً.

ومن دون أن يعرف، منحها رونان هدية مميزة للغاية إذ اكتشفت الأميرة شوشونا قوتها.

أجابت بوداعة أميرة براناشا: «أودّ تعلّم تحضير البسكويت بدلاً من السباحة».

وابتسمت لنفسها مرتاحة لعجزه عن إخفاء مشاعره الحقيقية. بات لديها الآن سلاح سري، وستقرر متى تستخدمه وأين.

* * *

صاح رونان: «توقفي!».

لكن الأميرة تجاهلته، وأخذت حفنة أخرى من فقاعات الصابون ونفختها باتجاهه. طوّرت الأميرة شوشونا قدرتها على اكتشاف متى

يمكن تجاهل تعليماته وقد أزعجه أن تتمكن من قراءته بهذه السهولة بعد أربعة أيام فقط من وجودهما معاً.

لم يفلح في جعلها تعزف عن ارتداء ملابس السباحة، على الرغم من محاولاته الحثيثة. وقد جاراها في رغبتها في التعلّم فجعلها تقطف الثمار وتجمع الحطب وعلّمها كيف تشعل النار وعرّفها إلى النباتات التي يمكن أكلها وعلّمها بعض مهارات النجاة.

ظن رونان فعلاً أنها ستفقد اهتمامها بكل تلك الأمور، لكنها لم تفعل. وقد وخزت أصابعها مرّات عدة وهي تحاول استعمال الإبرة، كما جرحت ساقها وهي تحاول تسلّق شجرة جوز الهند، وكانت تجمع الحطب كل صباح بشغف ومن دون أن يطلب منها ذلك أحد! حتى أن ترتيبها للسرير تحسّن.

أدرك أن الأميرة تتمتع بإحدى الصفات التي يقدّرها الجنود كثيراً وهي العزم وعدم التراجع أو الاستسلام. وهي صفات أكثر قيمة في بعض الحالات من ميزتي القوة والذكاء علماً أن الأميرة تتمتع بهاتين الصفتين، سيما قوتها مقارنة مع حجمها.

وعلى الرغم من محاولاته لإبقائها منشغلة لم ينجح في ثنيها عن السباحة، مع أنه وجد تقنية خاصة تنقذه عندما كانت تلوّح بثوب السباحة الأخضر.

كان ثوب السباحة مذهلاً جداً. ووجد أنه أخطأ باعتقاده أن الزهري الذي أجبرها على إعادته يناسبها أكثر فما من شيء بلائمها أكثر من هذا الأخضر.

كانت تشكل تهديداً أنثوياً صرفاً في تلك الملابس بقدّها ومفاتنها التي تخطف الأنفاس. ومن حسن حظه أنها كانت تشعر بالخجل من ارتداء ثوب السباحة فتلف نفسها بمنشفة حتى تصل إلى حافة الماء حيث تلقيها عنها.

وتقنية النجاة التي اعتمدها تقضي بأن يتوجّه إلى مكان آخر من الشاطئ ليصطاد السمك فيما هي تسبح. كان يبقي عليها عيناً من بعيد ويحافظ على المسافة بينهما.

كان راضياً جداً عن خطته لأنها بدت رائعة في ملابس السباحة بحيث تحبط عزيمة أي رجل.

ورمته شوشونا بمزيد من فقاقيع الصابون.

فحذرها مجدداً: «توقفي».

لكنها ضحكت غير مكترثة بتهديداته.

كان مسحوراً بمدى التسلية التي يشعرها بها غسل الصحون.

كانت تستمتع بالقيام بأي عمل وعيش الحياة وتُدهش لأبسط الأمور وكأنها سجينة أطلق سراحها.

صعب عليه المحافظة على الحس المهني في مواجهة فرحها بالحياة، بل شعر بالسعادة لحسن مزاجها. لم تحصل أي مواقف عاطفية بعد نوبة البكاء عند ذكر خطيبها وزوجها العتيد.

ووجد رونان نفسه يفكر في تلك الحادثة أثناء لحظات الهدوء في الأمسيات عندما يصبح وحيداً وتخلد هي إلى سريرها متعبة وسعيدة. كيف يمكن لشوشونا ألا تعرف إن كان شريك حياتها المستقبلي يحب السفر أو يشاركها رغبتها في لمس الثلج والتزلج؟

من الواضح أن الأميرة ستتزوج برجل غريب، ومن الواضح أيضاً أنها ترتعب للفكرة بشكل منطقي.

لكن هذا كله لا يعنيه. فالاحساس الذي انتابه حين رآها على الشجرة تضحك له كقرد صغير ليس ملائماً، إذ رغب في حمايتها بكل قواه وإنقاذها من حياتها. لكنه جندي وهي الأميرة، وحياته تنطوي على أمور لا يريد القيام بها مثلها تماماً.

لكن هل يعقل أن يتضمن ذلك الزواج من شخص لا تعرفه؟ نظر

إليها وفقاعات الصابون تغطيها من رأسها حتى أخمص قدميها، فوجدها رائعة مسلية مرحة مشاكسة مثيرة ومثيرة للفضول. إنها فتاة قد يغرم بها أي رجل وهي تستحق أن تعرف تلك المشاعر.

لكنه ذكر نفسه بحزم بأنّ هذا لا يعني أنه مخوّل أن يحكم على ما تستحق فهذا ليس جزءاً من مهمته.

لم يتولّ يوماً مهمة تشعره بالضعف بدلاً من القوة وكأن الأمور تخرج عن سيطرته. بات يحب رفقتها إلى حدّ أصبح معه غسل الصحون نقطة ضعف وجمال.

كان يكفيه أنه مضطر لاحتمال رؤيتها كل صباح وهي ترتدي السروال القصير الذي يبرز ساقيها الذهبيتين اللتين لا عيب فيهما ليضاف إلى ذلك اليوم بلوزتها القصيرة الضيقة التي تكشف عن بطنها كلما رفعت ذراعيها.

كان كلما رآها تعاني مع ثمرة المانغا المسكينة أو تخز أصابعها بالابرة تنتابه رغبة في أن يمازحها بشدّ خصلات شعرها القصير المشعث كأعشاب قصيرة.

وبدت هي مصممة على كسب صداقته ورغم أنه يعرف أن هذا محرّم إلاّ أنه جاراها في لعبتها مدفوعاً بتعاطفه معها وعدم رغبته في أن يخذلها.

لقد عشت طفولة مفككة. هذه المعلومة الشخصية التي تتعلق بحياته لم يعترف بها لأحد منذ سنوات طويلة وقد كره أن يقولها لكنه سعى من خلالها أن يخبرها أن الظروف السيئة قد تولد الخير.

كره أن يكشف مدى الوحدة التي تسكنه ويحاول دفنها منذ سنوات طويلة جداً. في الواقع، لم يكن يرغب في أن يعرف أحد عنه معلومة تحرمه قوته وتجعله ضعيفاً.

كان رجلاً يحب المخاطر وقد عاش على وقع حماسة المغامرات.

كان يلتزم بشعار الوحدة، وينفذ مهامه بشغف. وكانت حياته تقتصر على كل ما هو ذكوري: «القوة والنظام والقسوة والشجاعة».

فبعد حب أمه الكبير لجميع أصناف الزخرفة والبهرجة، لم يتقبّل الحياة في الثكنة وحسب بل أغرم بها. ورفض عن وعي أو لاوعي متطلبات التواجد مع الإناث. لم يكن لديه أي رغبة في أن يكون لطيفاً أو مهذباً أو مساوماً.

لكن وبمجرّد إفصاحه عن ذاك السر الصغير لشوشونا، أدرك أنه لم يخض المغامرة الأكبر في حياته.

لعل ذلك يعود جزئياً إلى أنه جندي، أو يعود إلى أنه أبقى قلبه خلف درع يحميه. لقد استغرق بناء ذاك الدرع وقتاً منذ موت والده. لكن منذ سألها: «من يعرف ما هوالحب؟»، التمع شيء ما في ذاكرته، وأدرك أن جزء منه يعلم تماماً معنى الحب.

ورغب جزء منه في أن ينكر الحقيقة، وقد نجح ذلك تماماً حتى بضعة أيام مضت. لقد تمنى رونان في سرّه لو يجد مكاناً يلقي فيه درعه، مكاناً يتاح له فيه أن يكون رقيقاً، مكاناً فيه مساحة لحب الآخر.

ومن دون أن تبذل شوشونا أدنى جهد تجعل أسراره تطفو على السطح فهي شديدة الفضول وتشغل الآخرين بها. من حسن حظه أنه يتمتع بميزة الرجال الذين يقومون بأعمال خطرة خفية، فهو قليل الكلام، ويقلق من اهتمام الآخرين به.

علّمته التجارب أن الأشخاص العاديين يريدون اختبار الخطر ويظنون الأمر أشبه بالمغامرات التلفزيونية لكنه ليس كذلك حتماً.

لكن رغبة شوشونا في معرفة المزيد عن حياته ومغامراته حقيقيّة. وعلى الرغم من أنها أمضت حياتها بعيدة عن المخاطر إلاّ أنه شعر بأنها تعرف حقيقته وتستوعبها تماماً لا بل تعشقها.

لكن تلك الأفكار خطر، فهي تعرّض مهنته وحرفيته وشخصه للخطر.

ما هي الخيارات المفتوحة أمامه؟ أن يتجاهلها لأسبوع كامل؟ أن يقيم خيمة في الخارج ويبقى فيها؟ أن يدّعي أنها غير موجودة؟

لم تكن لديه خبرة بالنساء، لكنه يعلم أنهن يحبين الكلام كثيراً. وكان من مصلحته تماماً أن يجعل إقامة الأميرة على الجزيرة سعيدة. كان يتمنى ويرغب من أعماقه في أن يجعلها سعيدة قبل إعادتها إلى قدرها المحتوم الذي لا يتمناه لأحد.

فالزواج في حد ذاته أمر قاس فكيف إن كان يعني الارتباط بشخص لا تعرفه. إنّ أمه النموذج المثالي للزواج من رجال لا تعرفهم فقد جعلت من ذلك هوايتها المفضلة.

والتمعت فكرة رهيبة في رأسه: لو كان هو الأمير لاصطحبها إلى قمّة الجبل لمجرّد أنها تريد ذلك، لمجرّد أن يرى الفرح يضيء وجهها وهي تنظر إلى المنحدرات، ليراها تتنشق الهواء البارد. كان ليصنع معها رجالاً من الثلج ويسابقها في التزلج حتى تنقطع أنفاسه لمجرّد أن يسمع ضحكها.

لو كان أميرها؟ يا الله! كم كان يورّط نفسه في المتاعب في تلك اللحظة بالذات.

لقد ارتكبَ العديد من الأخطاء في الأيام القليلة الماضية. أحدها هو سؤالها عن أكثر التجارب تشويقاً في حياتها إذ بدا واضحاً إلى حدّ يثير الشفقة أن تلك التجارب تقتصر على ركوب الدراجة النارية وكل ما تعيشه الآن.

استنتج من الكلمات القليلة التي قالتها عن الشغف أنها نادمة على الاتجاه التي اتخذته حياتها وأنها تتوق إلى مزيد. وقد دهش لمدى حكمتها عندما أخبرها أن المخاطر التي يتضمنها عمله تمنعه من إقامة

www.elromancia.com

أيّ علاقة.

هل من امرأة تفهم أن الاهتمام بالآخر يعني تشجيعه على القيام بما يشعره بالاكتمال، فقيمة الحياة، ليس في تجربته الخاصة! بدءاً من أمه التي كانت من الأنانية بحيث تطالب دوماً بالاهتمام بما تشعر به هي فقط، وما تحتاجه هي فقط لتعيش بأمان وسلام وحب. وليس أي نوع من الحب بل ذاك الذي يعني السيطرة وحب الامتلاك الخنق.

آخر ما يريد التفكير فيه هو أمه! حتى أن التفكير بملابس السباحة الخضراء أفضل من التفكير فيها. أدرك أن تفكيره في أمه أتى نتيجة الاعتراف الذي وجد طريقة إلى النور عبر الشق الصغير المتعلق بطفولته.

إنه هنا مع الأميرة على هذه الجزيرة للقيام بعمل بسيط، وهو حمايتها ما يعني أن لا وقت لديه للاهتمام بنفسه.

ومع ذلك أدرك أن عليه أن يكون شديد الانتباه لأنه يسير على خيط رفيع جداً، ويكفيه هذا الشعور بشيء من العاطفة تجاهها. لم يشأ أن يكون فظاً، لكن عليه أن يوضح لها ولنفسه أنه هنا ليقوم بعمله، لم يكن في عطلة ولا يفترض به أن يمرح ويتسلى.

لا يستطيع السماح لنفسه بأن تراوده أفكار أي رجل عادي طبيعي عند رؤيتها في ملابس السباحة.

لكنه تساءل الآن ما إذا بالغ في تقدير خطورة المهمة وقلل من خطر رؤيتها في ملابس السباحة.

بدت مثيرة جداً فيها، مثيرة لكن لا يمكن لمسها كعارضة أو ممثلة. كان يراها من مسافة آمنة على الشاطئ فيما هو يخفي عينيه خلف نظارات سوداء تمنعها من رؤية حقيقة مشاعره. وحتى مع كل تلك الفقاقيع التي تغطيها من جراء غسل الصحون، لا تزال تبدو مثيرة، وظريفة أيضاً.

لم يعرف كيف تمكنت من تغطية ساقيها الطويلتين بفقاقيع الصابون لكنها فعلت. وشكلت بها لحية وشاربين وقالت: «أنظر!».

فسألها وهو يدّعي أنه متضايق في حين أنه مسحور باستمتاعها بتلك الأمور البسيطة: «كم عمرك؟».

- إحدى وعشرون سنة.

- إذن، كفيّ عن التصرف وكأنك فتاة في السادسة.

شعر بعدئذ بالسوء وقد بدا عليها الانكسار. الحدود مهمة، أجل، لكنه لن يفعل ذلك مجدداً. لن يحاول رسم حدود بينهما عبر إيذاء مشاعرها. لقد تجاوز الخط الرفيع الفاصل بين الفظاظة وإقامة الحواجز المهنية. ظن رونان ببساطة أنه أكثر لباقة من ذلك.

وخلافاً لاعتباراته وعلى سبيل الاعتذار رش عليها بعض المياه، فردّت له الصاع صاعين وأصبحا في غضون دقائق مبللين بالماء والصابون يضحكان.

رائع! لقد عاد وهدم كافة الحواجز التي أقسم على بنائها.

مع ذلك، وعلى الرغم من أنه يعرف أنه يراقص الخطر إلاّ أنه نسي أنه شاب بسبب جدية نمط عمله.

لم يكن سوى في السابعة والعشرين من عمره لكن عمله جعله أكبر بسنوات وسرق منه ضحكه فالمزاح الأسود الذي تشاركه مع رفاقه لم يكن يدخل في الحسبان.

حتى عندما كان الشباب يمازحون بعضهم البعض، كان لعبهم خشناً يتسبب بجراح جسدية. كلما كان الضرب أقسى كان أفضل. لقد توصّل إلى أن يحترم القوة والشجاعة وبات عالمه يدور حول هاتين الميزتين. ما من مكان للرقة أو المرونة الجسدية أو العاطفية في حياته.

كان عمله يتطلب منه نضجاً يفوق سنوات عمره، ويضع على كاهليه عبئاً يئن تحته أقوى الرجال. غالباً ما كانت الحياة مادية بالنسبة

إليه بحيث انحصرت قراراته بين خياري الحياة والموت، فنسي كيف يكون مرحاً وكم هو جميل الشعور الذي يثيره الضحك.

المكافآت التي قدمها له عمله كثيرة، منها الإحساس بالشرف وبأنه يشكل فرقاً حقيقياً في عالم مليء بالمشاكل. كان سعيداً بالتزامه خدمة أخيه الإنسان، فالرابط الذي يشده إلى رفاق السلاح أقوى من الحديد. لم يسأل رونان يوماً عن الثمن الذي يدفعه مقابل العمل الذي يقوم به والوقت ليس مناسباً الآن ليبدأ بذلك.

فالعيش على الجزيرة مع أميرة رائعة الجمال متحمّسة لتجربة ثوب السباحة الجديد ليس بالوقت الملائم ليقرر إعادة اكتشاف نفسه.

لكن البقاء قريباً منها جعله يدرك معنى الرقة، وملأه توقاً فظيعاً. والذوبان الكامل قد يبدأ بشعلة بسيطة بساطة الرغبة في لمس شعرها.

قال لها بنبرة جادة اختلطت بشيء من الخفة: «حسناً، هل تريدين أن تتعلّمي وصفة تحضير البسكويت السرّية؟».

لقد تخرج رونان من مدارس عدّة تعلّم البقاء على قيد الحياة. كان كافة أعضاء اكسكاليبر يتباهون بقدرتهم على تحضير أطباق لذيذة باستعمال مكونات محدودة، واللجوء إلى ما توفر بين أيديهم. وكان يرتاح حقاً في الطهو فوق النار أكثر من تحضير الأطباق في الفرن.

وبعد مرور ساعة وبيدين ملطختين بالطحين، أخرجت أول قطعة بسكويت من فرن الحطب.

حاول رونان الحفاظ على تعابير وجه عادية بعد أن رأى أنّ حجم كل قطعة يختلف عن الأخرى وأنّ بعضها محروق فيما البعض الآخر لا يزال نيئاً.

قالت بإصرار: «تذوق واحدة».

وبما أنه سبق وجرح مشاعرها اليوم وقرر أن تصرفه ليس الطريقة المناسبة للحفاظ على مسافة مهنية بينهما، تحامل على نفسه وتناول

إحدى أفضل القطع ظاهرياً.

قضم قضمة كبيرة وقال لها كاذباً: «ليست سيئة بما أنها المحاولة الأولى».

تناولت بدورها قطعة أخرى، وكشرت ثم وضعتها جانباً قائلة: «سأحاول غداً».

وتمنى ألا تفعل. تمنى لو تتعب سريعاً من عملهما معاً لأن الأمر مسلٍ، مسلٍ إلى حد أبعد بكثير مما يوّد أن يشاركها به.

قالت: «دعنا نذهب للسباحة الآن. هلا تأتي معي اليوم؟ أظن أني رأيت فرشاً البارحة».

أهذا ظل عفريت ما يتراقص في تينك العينين الزرقاوين؟ لابد أنه كذلك. تصوّرت أنه لا يريد السباحة معها وأن رقتها تخترق درعه أكثر مما يفعل الرصاص، ولاحظت إلى أي حدّ يرفض التواجد بقربها وهي ترتدي ملابس السباحة تلك.

بمعنى آخر لقد اكتشفت نقطة ضعفه، وهو لن يسمح لها باستغلال تلك النقطة. إحدى الأمور التي تعلمّها كجندي هي ألا يهرب أبداً مما يخشاه، بل يواجهه مباشرة. فقال لها وهو يهز كتفيه لا مبالياً: «بالطبع، فلنذهب».

ادّعى الشجاعة كمن أوكل إليه للتو تفكيك عبوة ولم يشأ أن يدرك أيّ مخلوق مدى رعبه.

لكنه حين نظر إلى عينيها ورأى الشر يتراقص فيهما تأكد من أنها لم تصدّق ادعاءه الشجاعة.

لم تنخدع بتصرفه وأغاظته قليلاً قدرتها على قراءته بوضوح بعد أن أصبح خبيراً جداً في إخفاء أيّ ضعف يشعر به.

www.elromancia.com

٥ ـ غداً يوم آخر

حدقت شوشونا في مرآة غرفتها وابتلعت ريقها فثوب السباحة مثير حقاً. لم تهتم بالأمر كثيراً بوجود رونان بعيداً يصطاد أو يجمع الأخشاب لكنه الآن سيسبح معها! وأخيراً.

كادت تسمع صوت أمها تعلّق على الثوب الفاضح بقولها: «شعبي ومبتذل».

تخيلت عدم رضا والدها أيضاً سيما وأنها بصحبة رجل وما من أحد يحرسهما.

لكن ألم تكن هذه مشكلة حياتها؟ لطالما اهتمت بإرضاء الآخرين من دون أن تهتم بإرضاء نفسها. لطالما راودها حلم التحلّي بالشجاعة، والتمتع بدور المغامر لكنها كانت تتراجع دوماً.

وتذكرت إحساسها بالقوة حين أدركت أن رونان لا يود رؤيتها بملابس السباحة وأنه وبالرغم من قوة إرادته لم يستطع إلاّ أن ينجذب إليها. وفجأة أرادت أن تشعر بتلك القوة مجدداً. ولفت صوت عقارب الساعة انتباهها بشدة. لقد مضى على وجودهما هنا أربعة أيام ولم يتبق سوى ثلاثة، وتنتهي المهلة.

وفجأة لم تجد ما يمنعها من التوجّه إلى البحر ونحو رونان.

لكنها وفي الدقيقة الأخيرة وجدت نفسها تلتف بمنشفة كبيرة قبل الخروج من المنزل.

كان ينتظرها عند الباب فنظر إليها بوجه يخلو من التعابير، لكنها

كانت واثقة من أنها لمحت وميض تسلية في عينيه وكأنه يعلم أنها تخجل من ارتداء ذاك الثوب.

قال لها: «انظري ماذا وجدت».

أنابيب للغطس وزعانف! ما من أحد يبدو مثيراً عند استخدامها، لكنها لم تستخدمها منذ كانت هنا آخر مرّة وقد تذكرت التجربة بتعجب وسألته: «ألم تجد ألواح تزلج؟».

- بلى. وجدت لوحاً قديماً. أتريدين أن أحضره لك؟ يمكنك أن تعومي عليه.

قالت له: «لا، شكراً».

تعوم عليه وكأنها ولد صغير يسبح في البركة.

أرادت ركوب الأمواج والسيطرة على قوة البحر لمجرّد أن تثبت له أنها ليست طفلة صغيرة.

وخلعت المنشفة عنها، فسارع إلى وضع نظارته السوداء، واهتم فجأة بالعدّة، لكنها لاحظت تأثره من تحرُّك تفاحة آدم كلما ابتلع ريقه.

مشت على الرمال متجهة نحو الأمواج، تحاول ادعاء الثقة بالنفس لكن ما أن وصلت إلى المياه حتى غطست بأسرع ما يمكن.

وعندما غمرها الماء نادته قائلة: «المياه رائعة، هيا!».

وكان هذا صحيحاً، فالمياه رائعة ودافئة، وقد استمتعت بملمسها على جلدها طوال الأسبوع.

وفجأة غمرتها السعادة لاكتسابها شجاعة ارتداء ثوب السباحة، واختبار متعة التواجد في الماء من دون حواجز بين جلدها وبينه. كانت قصّة شعرها تناسب السباحة تماماً إذ لا يثقله الماء ويجّف بسرعة في الشمس!

ونظرت مجدداً إلى الشاطئ فرأت رونان يراقبها وقد شبك ذراعيه

www.elromancia.com

على صدره كحارس في منتزه الأولاد.

عليها إزالة تلك النظرة عن وجهه مهما كلفها الأمر.

نادته مجدداً: «هيا تعال!».

وضغطت على الزر الذي تعرف أنه لا يحتمل الضغط عليه فأضافت: «إلا إن كنت تخاف».

ليس من الماء، بل منها. وشعرت بزهو القوة، قوة لذيذة مغرية بامتياز. كانت تحتفظ بهذه القدرة وتنتظر غير واثقة، لكن الوقت بدا مناسباً الآن.

راقبته وهو يضع العدّة على الرمال وينزع عنه سترته. كان النموذج المثالي للرجل الذي تفيض منه القوة.

ظنت شوشونا أنها ستكون في موقع القوة عندما يسبحان معاً، لكنها أدركت الآن أن القوة تكمن في التفاعل في ما بينهما ولا تنبع من أي منهما.

إنها قوة كونية تتفجر عندما ينظر أي رجل إلى أيّ امرأة، قوة تجمعهما معاً، تجذب أحدهما إلى الآخر كانجذاب المعدن للمغنطيس، إنه قانون لا يمكن مقاومته كقوة جاذبية الأرض.

أدركت شوشونا أن تلك «القوة» التي رغبت في اختبارها بشدة، والتلاعب بها، قد خرجت عن سيطرتها وباتت كطفلة لعبت بعيدان الثقاب فاشتعلت فيها النار ويتوجب الآن إطفاءها.

غطس رونان في المياه ولم يحتج لكثير من الجهد كي يصل إليها.

راقبته مسمّرة في أرضها وهو يبتعد عن الشاطئ من دون بذل أي جهد. توقف على بعد أمتار منها وانتصب واقفاً ثم نفض عنه قطرات المياه الفضية. وأدركت أن ما كانت تفعله لا يُسمى سباحة مقارنة بما فعله فهي تعوم وحسب ولا عجب أن يعاملها كطفلة تسبح في بركة.

انقلب رونان على ظهره وفتح ذراعيه وعام على سطح المياه.

بدا الأمر مريحاً جداً ويجلب الاسترخاء فحاولت تقليده وكادت تغرق.

- هل أنت بخير؟.

وماذا لو لم تكن كذلك؟ فهل سيسبح نحوها ويأخذها بين ذراعيه ويواسيها؟.

أصدرت صوتاً يشبه الصرير: «أنا بخير».

لقد سبح نحوها لكنه لم يقترب منها كثيراً، وقال لها: «لقد تقدّمنا كثيراً في عمق البحر ويجب أن نعود إذ لاحظت على مدى الأيام القليلة الماضية أنك لست سبّاحة ماهرة».

- تعتقد أمي أن السباحة في مياه المحيط نشاط يقتصر على أبناء وبنات الصيادين.

- من العار العيش في مكان كهذا من دون أن تعرف كيف تسبح. يبدو لي الأمر حماقة، فمع وجود كل هذا الماء، لا بد من أن يتعرّض المرء لموقف يتطلب منه السباحة. لا أقصد أن أصف أمك بالحمقاء. كما لابدّ أن لديها ما تقوله حول إظهار كل هذا القدر من الجسم.

ونظر رونان في عينيها مضيفاً: «أنا واثق من أنها لن توافق على ثوب سباحة كهذا».

لقد لاحظ.

واعترفت شوشونا: «كانت لتصاب بنوبة قلبيّة».

قال مع تكشيرة شريرة: «كنت لأفعل أنا أيضاً، فللثوب التأثير ذاته عليّ».

باعترافه هذا سلبها كل قوة. إنه اعتراف رجل حقيقي غير قادر على التظاهر والادعاء.

- لهذا السبب لا ترغب أمك في أن ترتدي ملابس كهذه فالرجال كائنات شريرة، تدفعهم بعض المشاهد إلى تصرفات غير صحيحة

بالضرورة!

بدا وكأنه يقول لها عودي للسباحة في البركة يا طفلة! كان على وشك أن يلقي عليها محاضرة لكنه لم يفعل بل توقف عند هذا الحد ومع ذلك شعرت بأنه أعطاها درساً في الأدب.

أحسّ بانزعاجها فغيّر الموضوع بسرعة: «لذا، وبما أننا في الماء... أتريدين أن...».

هل تمنت أن يقترح أمراً شريراً نوعاً ما؟

- أتريدين أن تتعلمّي كيف تحسنين أداءك في السباحة؟.

أومأت برأسها، وهي تشعر بالارتياح والانزعاج في آن معاً من قدرته على معاملتها كطفلة وتوليه زمام الأمور.

- لن تكوني جاهزة لدخول الألعاب الأولمبية بعد درس واحد، لكن ستتمكنين من النجاة إذا وقعت عن ظهر القارب.

لعل تعليم شوشونا السباحة حماقة. لكنها تعيش على جزيرة وهي محاطة بالماء على الدوام. بدا له من غير المعقول ألا تكون الدروس التي تلقتها قد تضمنت صفوفاً في السباحة. من جهة أخرى، ما الذي يعرفه هو عن المهارات التي تحتاجها أميرة؟ ومع ذلك، كان يعرف أنه من الأفضل أن يتركها وهو يعرف أنها قادرة على السباحة لتنقذ نفسها إذا وقعت من القارب.

لا بدّ أنه يمزح إذا ظن أنه يعلّمها أمراً ضرورياً، فلو وقعت الأميرة عن القارب لقفز عشرة رجال من حاشيتها وراءها.

ما يهمّه فعلاً هو أن تتعلم كيف تنقذ نفسها بنفسها. فكل ما علمّها إياه طوال الأسبوع لا يهم أميرة.

لكن بدا ضرورياً بالنسبة للمرأة التي ستكون عليها أن تتعلّم الاعتماد على الذات. بدا مهماً بالنسبة إليه أن يضعها على الطريق الصحيح فقد جعلها تكتشف قدراتها الكامنة، ومدى قدرتها على القيام

ببعض الأعمال وتعلّمها إذا عزمت على ذلك.

وبما أن رونان استرالي وقد ترعرع على الشواطئ وتعلّم ركوب الأمواج، غالباً ما كان يتم اختياره لتعليم أفراد إكسكاليبر الآخرين السباحة. وحمداً لله، اعتاد تعليم أي كان من دون وضع يده عليه.

وتعجب لشدة حماسة هذه التلميذة التي بدت مستعدة للعمل الجاد أكثر من أي جندي مدرّب. وسرعان ما أدرك أنها لا تخاف شيئاً وأنها تتعلّم بسرعة تماماً كما على اليابسة. فبعد مرور نصف ساعة فقط تحسّنت سباحتها وأصبحت قادرة على السباحة على ظهرها لبضع دقائق قبل أن تغرق لتعود وتقف وتتنشّق الهواء.

ومن ثم وقعت الكارثة التي توقع كأستاذ وقوعها. كانت تغوص في المياه عندما حاولت أن تتكلم ونسيت أن تحرك يديها ولفّت ذراعيها حول جسمها وبدأت تغرق.

وعندما لم تعد إلى السطح وصل إليها في غضون ثوانٍ حيث غطس ولف ذراعيه حول خصرها وسحبها إلى الأعلى. لم يرَ أي خطر أو سمك قرش ومع ذلك بقيت تلف ذراعيها بشدة حول جسمها. حاول جزء من دماغه معرفة ما الخطب عندما تفوهت بكلام غير مفهوم واحمّر وجهها.

تمتمت تقول: «فقدت الجزء الأعلى من الثوب».

للحظة لم يفهم ماذا تقول وعندما استوعب كلامها أصبح واثقاً من أن النوبة القلبية التي كان يغيظها بحدوثها سيصاب بها هو نفسه.

وأفلتها سريعاً فعادت تغرق مجدداً إذ لم تبعد ذراعيها عن الجزء غير المغطى من جسمها.

بطريقة ما فقدت الجزء الأعلى من ثوب السباحة واختفى في الماء! وأمرها بخشونة: «اسبحي إلى حيث نستطعين الوقوف».

كان يعرف تماماً النبرة التي يجب أن يستعملها مع جندي خائف

ليضمن إطاعته الفورية للأوامر، وقد نجح الأمر معها إذ توجهت إلى الشاطئ تسبح بيد واحدة فيما هي تضع الأخرى بثبات فوق صدرها. كان ليجد الأمر مثيراً للضحك لو حصل مع شخص آخر. وما إن تأكد من أنها وصلت إلى الشاطئ بأمان حتى استدار.

كانت القطعة المفقودة تطفو على بعد أمتار عدة فسبح باتجاهها وأمسك بها، مدركاً أن الوقت ليس مناسباً للتفكير في نعومتها ورقتها بين يديه الكبيرتين الخشنتين.

توقف عن السباحة وكانت هي لا تزال تقف في المياه التي غمرتها حتى كتفيها وتصر على أن تلف ذراعها بشدة حولها.

قال لها محاولاً ألاّ يشعرها بهول المسألة: «سأنظر إلى الناحية الأخرى».

وفي غضون دقائق، ارتدت القطعة من دون أن تتمكن من النظر إليه. حتى هو وجد صعوبة في النظر إليها.

خرجت من الماء من دون أن تتفوه بكلمة واحدة، وتمددت على بطنها على المنشفة التي وضعتها فوق الرمال من دون أن تنظر إليه. أما هو فلبس معدات الغطس تحت الماء وعاد يغوص في مياه الخليج.

رأى أنواعاً متعددة من الأسماك كتلك التي رآها عند السلسلة المرجانية في أستراليا.

انتابت رونان رغبة فجائية في عدم تركها تشعر بالإحراج طيلة النهار، كما لم يشأ أن تفوتها متعة مشاهدة الأسماك هنا.

ذكره احساسها بالحرج من الحادثة بأنها نشأت في بيئة محافظة جداً، فهي شعرت أن ثوب السباحة قد يلفت انتباهه لكنها لم تعرف ماذا تفعل حين نجحت في ذلك.

في عالمه، كانت الفتيات يبادرن إلى مغازلة الرجال ويعرفن تماماً ماذا يفعلن للفت انتباههم. أما براءتها في عالم جريء فدفعته إلى

دعوتها لتشاركها تجربة الغطس. سوف يركزان اهتمامهما على الأسماك والغطس وليس على بعضهما البعض.

- شوشونا، ضعي عدّة الغطس وتعالي، عليك أن تري ذلك.

أدرك أنه ناداها باسمها وكأنهما صديقين، وكأنه لا بأس في الغطس معاً، وفي مشاركة تلك اللحظات.

فات الأوان على التراجع الآن إذ انضمت إليه في الماء بعد أن تأكدت مئات المرات من أن القطعة العليا من ثوب السباحة ثابتة في مكانها.

وصارت بقربه فلفهما السحر مجدداً وسبحا في عالم من الجمال دون أن يعيا مّا يحصل. فالأسماك التي ترهف الحس وتثير المخيلة بألوانها الزاهية كانت تحيط بهما وتسبح معهما، وقد متّعا نظريهما في تأمل جميع الأنواع.

ربت على كتفها وقال لها: «انظري إلى تلك الأسماك هناك».

وأشار إلى مجموعة من الأسماك الأرجوانية اللون وأضاف: «إنها تدعى الأسماك الاستوائية الشوكية بسبب الأشواك الحادة على ظهرها».

كانت دهشتها لا توصف حين اقتربت منها إحدى الأسماك من دون أن تتنبه لها. وراحت تسبح حولها مجموعة أخرى مشعة خضراء وكأنها جزء من البحر.

لم يعرف متى فقد اهتمامه بالأسماك وبدأ يركز على تفاعلها معها. لم يكن رونان واثقاً من أنه رأى شيئاً بمثل رقة تعابير وجهها عندما لثم نهاش أحمر مخطط بالأزرق يدها.

لقد كسر كل القواعد، وبدا له أن الأمر يستحق ذلك وأنه لا يأبه. ومرّ الوقت بسرعة ودهش لرؤية الشمس تغيب وراء البحر.

عادا إلى الشاطئ حيث جففا المياه المالحة عن جسميهما. ورآها

ترمقه بنظرات، فقال بخشونة: «سوف أطهو طعام العشاء.».

وفجأة بدا له كسر القواعد فظيعاً، ولم يعد الأمر يستحق المخاطرة بعد أن عاد يأبه لما يفعله.

كان يعلم أن شعوراً عظيماً يتملكه، كان يرغب بأمور لم يرغب فيها قبلاً وهو يعلم أنه لا يستطع الحصول عليها.

لقد بشكّلت الأيام الأربعة التي أمضياها معاً وهماً إذ تصرّفا كمجرد شخصين عاديين محبوسين على الجزيرة. وقد سمحت له تلك الأيام بأن يراها على حقيقتها وهو ما لا يتوفر إلا لقلّة من الناس. سمحت له تلك الأيام بأن يراها وقد أحب ما رأى. وكان من الطبيعي أن يرغب في معرفة المزيد عنها، واستكشاف ما يمكن أن تصل تلك العلاقة. لكن الجزيرة خيال، وهم قوي يوهن الواقع ويجعله ينساء.

كان هو جندياً وهي أميرة تفصل بين عالميهما آلاف الأميال كما أنّ شخصاً آخر ينتظرها ليتزوج بها.

تسلّح بهذه الأفكار وهو يطهو طعام العشاء، رافضاً أن تساعده، مقدماً إجابات سريعة ومختصرة على أسئلتها عن أنواع السمك.

وفهمت ما أراده فتناولا العشاء في صمت مطبق. لكن لماذا يفتقد أسئلتها؟ وهل تدرك هي أيضاً المنحى الخطير الذي اتخذته الأمور بينهما؟

وهكذا، وعند استعداده للخلود إلى النوم وفيما هو يهنئ نفسه على العمل الجيّد الذي قام به بإعادة بناء الحواجز بينهما، سمع أنيناً صادراً من غرفة نومها.

لا يمكن أن يعود السبب إلى شعورها بالخجل مما حدث معها اليوم؟

كان يعلم أن عليه تجاهلها، لكنها صرخت مجدداً بصوت مخنوق

وكأنها كمت فمها بشرشف ما جعله يقفز من السرير ويهرع إلى غرفتها.

كانت وحيدة في السرير الذي لم يتسلل إليه أي عدو أثناء انشغالهما بمراقبة الأسماك في قعر المحيط بدلاً من قيامه بعمله.

سألها بصوت خافت في الظلمة: «ما الأمر؟».

كان الغطاء الناعم يلفها ويغطيها حتى ذقنها.

- إني أتألم كثيراً.

- ماذا تقصدين؟.

وأضاء مصباحاً واقترب من السرير ينظر إليها. أزاحت عنها الغطاء بتردد بما يكفي ليرى كتفيها. لهذا السبب كانت هادئة على العشاء.

لم تكن تشعر بالإحراج أو لاحظت أنه لا يودّ التحدث إليها بل تتألم. وبالرغم من الضوء الخافت استطاع أن يرى بوضوح سوء الحرق الذي تسببت به الشمس.

لعن نفسه بصمت متسائلاً لما لم يتنبّه إلى أنها على وشك أن تصاب بضربة شمس.

الخيوط البيضاء التي خلفّها ثوب السباحة تضاربت بشدة مع احمرار باقي جسمها.

وبسبب سمرة بشرتها المائلة إلى الذهبي لم يخطر له أنها قد تتأثر بأشعة الشمس إلى هذا الحد، كما أنّ الشمس لم تكن حارقة في ذاك اليوم. من جهة أخرى، كان عليه أن يعرف أن النسائم الآتية من المياه قد تجعل الطقس يبدو أكثر برودة مما هو عليه ولم يخطر له مطلقاً أن من يعيش على جزيرة كالجنة قد لا يستفيد من الشمس المشرقة عليها.

وتذكّر متأخراً ما قالته عن أمها فسألها: «هل سبق أن تعرضت بشرتك لأشعة الشمس؟».

هزت رأسها بامتعاض نفياً وقالت: «كان يسمح لي بالمجيء إلى هنا حتى بلغت الثالثة عشرة تقريباً، لكن أمي رأت بعدئذ أني بدأت أشبه الصبية كثيراً. وكانت تعتقد أن البشرة التي يصبح لونها داكناً بفعل الشمس تدل على...».

قال بخشونة: «دعيني أحزر، على مستوى شعبي».

كافأته بابتسامة بسيطة. وفكر بأنانية ونذالة في أنه لن يضطر لثلاثة أيام على الأقل لأن يراها بثوب السباحة، وبعدها سيغادران الجزيرة.

لكن يبقى أمامه اختبار آخر عليه أن يجتازه بنجاح فعليه معالجة حروق الشمس وتقديم الإسعافات الأولية لها. لقد تعرّض ظهرها للشمس طويلاً على الشاطئ فقطرات المياه المالحة عليه عملت كمغنطيس لجذب أشعة الشمس. كانت منطقة الكتفين شديدة الاحمرار، وبقية ظهرها حيث لا تصل يداها محروقة أيضاً.

في أستراليا كان يعرف مخاطر الشمس لكن بشرته أكثر قدرة على التكيّف مع أشعتها من معظم الذين تعامل معهم.

كان الجنود بعد فترات تدريب طويلة في الصحراء يتعرضون للأذى فتعلّم رونان طرقاً كثيرة للتخفيف من حدّتها باستعمال المواد المتوفرة دوماً، كالخل أو الخميرة التي تخفف من حدّة الألم حين تضاف إلى مياه الاستحمام. لكن ولسوء الحظ ما من حوض للاستحمام هنا تماماً كما في ساحات القتال.

كل ما يتوفر لديه هو الأسبرين الذي رآه في خزانة المطبخ، إضافة إلى الحليب الذي استعمله سابقاً لمعالجة حروق الشمس.

لكنه يعرف تماماً الفرق بين دهن الخلطة المحضّرة من الحليب الطازج والتي تخفف من ألم الحروق على ظهرها وبين فرك ظهور الجنود من رفاقه بها.

لقد كافح طيلة النهار لإبقاء الحواجز الجسدية بينهما بعد أن

انهارت الحواجز العاطفية بسرعة.

عندما لف ذراعيه حولها لإنقاذها من الغرق، أدرك أنه يجب تفادي لمسها مجدداً مهما كلّف الأمر.

ها هو يتعرّض للموقف ذاته مجدداً. وكاد يشعر أن الكون يتآمر ضده.

لكنه هو من يتولى زمام الأمور، ولم يكن لديه أي خيار. شعر بالذنب لأنها أصيبت بالحروق أمام ناظريه وشكّل هذا إثباتاً آخر على أنه لا ينتبه للأمور الرقيقة التي تتطلب عناية ولطفاً.

قال لها بخشونة: «تعالي إلى المطبخ، سوف أضع شيئاً لتبريد الحروق».

فقالت وقد احمرّت وجنتاها: «لا يمكنني أن أرتدي أيّ ملابس. أشعر وكأن جلدي يتقلّص وأظن أني لا أستطيع تحريك ذراعيّ. لا أقدر أن أدع أيّ شيء يلامس جلدي».

سحب الغطاء ولفه حولها قائلاً: «هيا».

مشت إلى المطبخ مترنحة، ملفوفة بالغطاء بشكل مضحك.

الليل أيضاً كان خطراً بنجومه التي ترصّع السماء وزهوره التي تعطرّ الأجواء وتضفي جوّاً من السحر المغري.

قال لها وهو يسحب كرسياً: «اجلسي».

أخذ نفساً عميقاً لاستجماع قوته والتحلّي بالجرأة اللازمة للقيام بما عليه فعله. وسحب الغطاء عن ظهرها مجبراً نفسه على التصرف كطبيب.

بدا ظهرها ناعماً جداً تحت الحروق بحيث نسي مدى خطورة وضعها، فالعلامات البيضاء التي تركها ثوب السباحة تضاربت بشدة مع سمرة الأماكن الأخرى. كان جلدها يشع احمراراً فوق اللون النحاسي الأصلي لبشرتها.

www.elromancia.com

قال بنبرة إشفاق حقيقية مثقلة بالذنب: «أكره أن أحمل إليك الأخبار السيئة».

وعلى الرغم من صعوبة تحديد موقع الحروق على هذا الضوء الخافت إلاّ أنه أضاف: «في الأيام القليلة المقبلة قد يقشر جلدك ويتشقق».

سألته: «حقاً؟».

لم تكن تبدو حزينة بل راضية نوعاً ما، فأراد أن يوضح لها الصورة أكثر: «حسناً، قد تبدين كسحلية يقشر جلدها مدّة أسبوع أو اثنين».

وعادت تسأله مجدداً: «حقاً؟».

لا شك هذه المرّة أنها راضية عن الوضع.

سألها: «هل من سبب يدعو إلى مثل هذا الشعور بالفرح؟».

- نعم. فبين مظهر شعري الجديد وجلدي الشبيه بجلد السحلية، قد يلغي الأمير ماهايل الزواج.

تأكد الآن من الرضا الذي يحمله صوتها فسألها: «وهل هو سطحي إلى هذه الدرجة؟».

- لقد اختارني لجمال شعري!.

حسناً، لقد سأل وانتهى الأمر. وبات عليه الآن أن يعالج الإهانة التي شعر بها. فهل يعقل أن يختار رجل امرأة للزواج بسبب شعرها؟

بدا له الأمر بدائياً ومعذباً، ولم يكن هذا ما تستحقه. أليس هو الخبير بشؤون الديمقراطية وحماية حرية الناس وحقهم في الاختيار؟ ماذا لو تم إجبارها على القبول به؟ هل سيثير أزمة دولية بفرضه قيمه ومبادئه على جزيرة براناشا، وإنقاذه الأميرة من قدرها المحتوم؟

سألها: «هل تمّ إجبارك على الزواج منه؟».

- ليس تماماً.

- وماذا يعني ذلك؟.

- لم يجبرني أحد على القبول، لكني تعرّضت لكثير من الضغوطات كما كان عليّ أن أرتفع إلى مستوى التوقعات.

ابتعد عنها بسرعة ليتفادى رغبته في هزّها بقوة. لقد فكر في كيفيّة إنقاذها، فيما بدا له جلياً وبوضوح أنها لم تحاول القيام بأي خطوة لتنقذ نفسها. بدت وكأنها تثق ثقة عمياء بأنّ حدثاً ما سينقذها من براثن الزواج. وبالرغم من أنه يكره الاعتراف بالأمر، إلاّ أنّ ثقتها كانت في محلها حتى الآن.

لكن الحظ على وشك أن يخونها. أما بالنسبة لرجل مثله يمسك بزمام الأمور ويتحمل المسؤولية، فإن الاعتماد على الحظ في تقرير المصير أو أيّ خطوة غير مسموح.

وبدلاً من مشاركتها الغيظ الذي يشتعل في داخله أو يسمح لها بملاحظته، انشغل رونان بمزج مسحوق الحليب مع الماء في وعاء كبير ثم أتى بقطع قماش نظيفة ووضعها في المزيج.

وبعد أن تأكد من أن موجة العواطف غير المرغوب فيها تحت السيطرة، وأنه تحوّل إلى مجرّد جلاّد لا خيار أمامه سوى الذهاب إلى الساحة، استدار نحوها ورفع الغطاء مجدداً عن ظهرها.

- أمسكي بهذا.

وضع قطع القماش المبللّة بالحليب على ظهرها وثبّتها بيديه. بدت رقيقة بشكل لا يصدق وشعر بجلدها ساخناً جداً من تحت القماش وناعماً بشكل مذهل تحت أصابعه. لم يكن يعرف طريقة أخرى تجلب لها الراحة لكن لمسها على هذا النحو أوصله إلى حافة الجنون.

ظن أنها ستجفل لكنها تأوهت بسعادة وراحة ناجمتين عن برودة قطع القماش المبللة بالحليب البارد.

تنفست بعمق وقالت: «هذا رائع جداً. لا أذكر أني شعرت مرّة

www.elromancia.com

بمثل هذا الاحساس الجميل».

صورّ له عقله الذكوري الشرير مدى براءتها، البراءة القصوى. وكانت وظيفته تقضي بالمحافظة عليها. وسرح خياله نحو رجل لم يسبق له أن رآه أو عرفه، رجل سيصبح زوجها، ويوكل إليه كل هذا الكم من الرقة. وشعر بدفق آخر من العواطف القوية تجتاحه.

لم يكن هذا شعوراً بالغيرة، لا أبداً. لم تكن غيرة بل مجرّد امتداد لعمله ووظيفته التي تقضي بحمايتها.

لكنه كان يعلم تماماً أن وظيفته لا تقتضي أن يتساءل ما إذا كان الرجل الذي أوشكت على الزواج به يستحقها؟ فهل سيتمكن أميرها من جعل سعادتها في أعلى سلم أولوياته؟ هل سيكون رقيقاً معها ويراعي مشاعرها؟ هل سيوقد النار المشتعلة في عينيها أم سيطفئها؟

وبّخ رونان نفسه وأمرها بأن تتوقف عن التفكير على هذا النحو. فهذا خيارها الذي لم يجبرها أحد عليه، وتلك هي مشكلتها وليست مشكلته.

أكانت على وشك أن تدفع حياتها ثمناً لترتاح من ضغط المحيطين بها؟

أنّب نفسه. عليه أن يخرج من أفكاره هذه فهو يفكر بطريقة مضحكة، وغير مقبولة إطلاقاً. لم يمض على معرفته بها سوى أقل من أسبوع ما يعني أنه لا يعرفها إطلاقاً. ولم يكن هنا لمواعدتها بل لحمايتها.

من كان ليتخيّل أن الأمر سينتهي به إلى حماية الأميرة من نفسه؟

قال لها بصوت يخلو من أي تعبير يعكس الصراع الذي يدور في داخله، وجنون العواطف الذي يهدد بأن يجرّه في دوامته: «دعي قطع القماش هذه لحوالى عشرين دقيقة».

وأضاف فيما هو يعطيها حبة الإسبرين وكوب الماء: «لسوء الحظ، سوف يجف الحليب سريعاً بسبب حرارة جلدك المرتفعة. لذا، عليك

غسل بقايا الحليب قبل العودة إلى السرير».

وصمت لحظة ثم أضاف: «سوف تعمل حبة الإسبرين على التخفيف من حدّة الألم».

وأتى صوته وكأنه يقرأ التعليمات عن ورقة الاسعافات الأولية، وهو يتابع: «اشربي الماء كذلك، فلعلك أصبت بالجفاف. أظنك ستنامين كالاطفال الآن».

لعلها ستفعل، لكنه تساءل عما إذا سيقدر على النوم مجدداً!.

تطلبت مساعدتها على الوقوف وقتاً طويلاً على الرغم من محاولته إقامة التوازن بين لمسها برقة وحاجته الماسّة للتخلص من الشعور بالعذاب.

- سأعود إلى الفراش لكني سأترك المصباح مضاء. يمكنك نزع الضمادات بنفسك بعد عشرين دقيقة تقريباً. ولا تنسي أن تستحمي.

- حسناً.

- ستكونين بخير لبضع ساعات. إذا عاودك الألم وبدأ يزعجك أيقظيني. سأعيد وضع الضمادات.

تحامل كثيراً على نفسه ليقدم لها هذا العرض فهو لم يشأ أن يلمس ظهرها مجدداً، وأن يمكث بقربها وهي تلتف بشرشف فيما هما وحيدان في مكان صغير كهذه الجزيرة الشبيهة بالجنة.

قالت له بصوت دافئ، وهي تلمس ذراعه: «رونان؟».

جمد في مكانه، مدركاً أنه يحبس أنفاسه، خائفاً مما سيحدث إذا ما طلبت منه أن يبقى معها، خائفاً من قوة الانجذاب ومن الأفكار التي راودته سابقاً.

قال بخشونة: «ماذا هناك؟».

- شكراً جزيلاً.

ماذا توقع؟ كانت محترقة إلى حدّ كبير. وآخر ما تفكر فيه هو ما يدور في رأسه.

- أنا أقوم بعملي وحسب.

ونظر إليها من فوق كتفه فالتقت عيونهما. ولم يساروه أدنى شك في أن حرارة النيران فيهما قد جعلت لونهما داكناً جداً. وأدرك أن ما يدور في رأسه ليس آخر ما تفكر به.

أخذ نفساً عميقاً وأحفض رأسه ثم استدار بسرعة وهرع يخرج من الغرفة بعيداً عنها.

استلزمه ذلك من الانضباط أكثر من أيّ عقوبة يمكن أن تفرض عليه لمجرد تحقيق رغبة ضابط أو القفز من الطائرة عن علو عشرين ألف قدم في الظلام الحالك.

ونظر إلى ساعته. عليه السيطرة على الأمور قبل أن تتدهور أكثر فأكثر.

لكن كلما فكر بقطرات الماء المتساقطة من أطراف شعرها، وبضحكها وبنعومة ظهرها تحت يديه الكبيرتين كان قلبه يعتصر. وذاك الشعور لم يكن كنوع من التحذير، أو الإحساس بوشك وقوع خطب ما بل أشبه بدفء الشمس الضروري للحياة.

ماذا حصل لجهاز إنذاره؟ هل تعطّل؟ وتساءل رونان عما إذا خسر جزءاً من نفسه لحساب عمق العينين الزرقاوين.

أليس هذا ما تعلّمه من أمه عن الحب؟ ألم تكن العلاقات بالنسبة إليها مجرد استسلام وخضوع لقوّة الآخر؟

قال لنفسه بحزم: «أنت لا تقيم علاقة معها».

وقع كلماته أتى فارغاً في أذنيه، وأدرك أنه تجاوز خطوطاً لم يكن يجدر به تجاوزها. لكن غداً يوم آخر ومعركة أخرى.

وهو محارب عازم بكل إرادته على استعادة القوة التي خسرها.

٦ - إرحل!

أخذت شوشونا نفساً عميقاً واسترقت نظرة نحو رونان. بدا متصلباً هذا الصباح، وشديد التركيز، إنما ليس عليها. لم تتمكن من النظر إليه وإلى شعره الداكن المرتب ووجهه وذقنه المحلوقة وعينيه العسليتين ووسامته الرجولية من دون أن ترتعش متذكرة لمسة يديه على ظهرها الليلة الماضية.

- هل أنت غاضب مني؟.

سألها بصوت عادي وكأن لا فكرة لديه عما تتحدّث: «لماذا أيتها الأميرة؟».

- بالأمس ناديتني شوشونا.

لم يعلّق ولم ينظر إليها. وبالكاد تحدّث إليها طيلة فترة الصباح.

نهضت من فراشها وتدبرت أمر ارتداء ملابسها رغم الألم الشديد نظراً لحروق ظهرها. مع ذلك أدركت ارتفاع صوت ضربات قلبها، ورغبتها في أن تراه مجدداً وأن تكون معه بما يفوق احساسها بآلام الحروق.

لكنها لم تجد رونان حين خرجت من غرفتها. وكان قد ترك لها طعام الفطور من بسكويت وشرائح فواكه طازجة على طاولة الطعام في مكان مجهّز لشخص واحد فقط وليس على المقعد الخارجي حيث اعتادا تناول الطعام معاً.

تمردت شوشونا على النمط الجديد فحملت الصحن إلى الخارج

www.elromancia.com

وراحت تأكل فيما هي تسمع صوت احتكاك الفأس بالخشب في البعيد. ومع انتهائها من آخر قطعة بسكويت رأته يعود وهو يجر شجرة كبرى. رؤيتها له وهو يعمل ويجر تلك الشجرة ويشدها بكل قوته، جعلتها تدرك سيطرة وجوده عليها تماماً كما حصل بالأمس عندما رأته يخلع السترة قبل النزول إلى الماء. وشعرت وكأن الذبذبات تخرج منها بوضوح فرونان شخص مفعم بالرجولة والقوة المثالية والإرادة الصلبة.

وعلى الرغم من عدم خبرتها خيّل إليها أنه يحضر من الحطب ما يكفي لإبقاء الفرن مشتعلاً حوالى خمس سنوات.

قالت بصوت متقطع: «صباح الخير رونان».

كانت تعلم إلى أي مدى باتت تعيش على ابتسامته. لكن بدلاً من أن يبتسم لها، بالكاد ردّ عليها تحية الصباح وكأن التهذيب يزعجه.

وبعدئذ، عاد يصبّ اهتمامه على الحطب مستعملاً منشاراً صغيراً لقصه ومن ثم الفأس لتقطيعه بما يجعله يتلاءم مع حجم الفرن.

كان هذا التمرين الهادف إلى تأمين الحطب تعبيراً صارخاً واستعراضاً عفوياً غير واعٍ لقوته ورجولته. وكاد قلبها يتوقف عن الخفقان كلما رفع الفأس برشاقة وسهولة طبيعيتين.

لكن قوته اليوم نغّصها مزاجه غير السوي. بدا غاضباً من دون شك، وقطع الحطب المتطايرة بالآلاف بكافة الاتجاهات مع كل ضربة فأس، وعضلات وجهه المتوترة الخالية من أي تعبير، تشير بوضوح إلى ذلك.

لم يسألها حتى كيف أصبحت حروقها التي كانت تؤلمها بشدة. هل ستتحلى بما يكفي من الشجاعة لتطلب منه وضع الضمادات مجدداً على ظهرها؟ كانت تشعر وكأنها لا تزال ترتعد من الداخل من لمسة يديه وضغطه برفق على قطع القماش الليلة الماضية.

وألحّت عليه بالسؤال رغم عدم رغبته الواضحة في التحدث إليها: «رونان، هل أنت غاضب من شيء ما؟».

في الواقع، بدا وكأن تحوّلاً ما طرأ عليه بالأمس عندما سألها عن زواجها.

لقد غرق في الصمت منذ اعترفت له بأنها لم تجبر على الزواج.

- كلا سيدتي، لست غاضباً. وممّا عساي أغضب؟.

- كفى!

وضع الفأس جانباً ومسح العرق عن جبينه ثم عقد ذراعيه على صدره ورمقها بنظرة متسائلة.

قالت له وهي تعلم تماماً أنه تعمّد عدم الفهم: «لم أقصد أن تكف عن تقطيع الحطب».

- ماذا قصدت إذاً، أيتها الأميرة؟.

- لماذا تتعامل معي بكل هذه الرسمية؟ لم تكن تتصرف على هذا النحو بالأمس.

فقال بحزم: «بالأمس أخطأت في التصرّف. لقد نسيت نفسي ولن يحدث ذلك مجدداً».

- هل ترى أن المرح والغطس جعلاك تنسى نفسك؟.

- أجل سيدتي.

- إن ناديتني بسيدتي مرّة أخرى، فسوف أقذفك بثمرة جوز هند على رأسك الثقيل!.

- أعتقد أنك تعنين رأسي الكبير.

- هذا تماماً ما قصدته.

بدا طيف ابتسامة على ثغره، لكن إن بدا عليه المرح فسوف يفسد الأمور.

قال لها بصبر: «أيتها الأميرة، أنا أعمل وأتقاضى أجراً ولست

www.elromancia.com

هنا لأمرح ولا لأعلّمك أصول السباحة وأعرفك على أنواع السمك. عملي يقتصر على حمايتك وإبقائك بأمان إلى أن أعيدك إلى منزلك».

قالت وهي تدرك أن نبرتها أصبحت عصبية تعكس نفاد صبرها: «كان يمكن أن أتعرّض للاغتيال فيما أنت في الخارج تقطع الحطب».

كيف يمكن ألا يرغب في تمضية مزيد من الأوقات الشبيهة بيوم أمس؟

هي لا تفكر في لهفة التلامس مع أن ذلك روى ظمأها قليلاً، بل في الضحك وسهولة رفقته. لهذا وجدت نفسها تتوق إلى المزيد. كيف يعقل ألا يريد الأمور ذاتها؟

أجاب بخشونة: «لو جاء معتدون إلى الجزيرة لسمعت صوت مركب أو مروحية. فلم أكن أبعد عن المنزل سوى بضع ثوان».

كان يتعمّد عدم فهم كلامها!

- ماذا لو لسعتني أفعى؟.

لم يجبها على ذلك وكرهت معاملته لها كطفلة مدللة مع أن تصرفاته تجبرها على ذلك.

وتمتمت مضيفة: «أو التهمني نمر، أو هاجمني قرد».

رمقها بنظرة حانقة وعاد يهتم بالحطب.

- أنا لا أقصد هذا كله حرفياً فلا وجود لمخاطر كهذه هنا ولا لمعتدين أو أفاعي أو نمور أو قرود مجنونة. لا بأس أبداً إذا ما أرحت نفسك من عناء الحذر والاحتراس.

عاد يضرب الحطب بالفأس بكل قوته ويجمع القطع المتطايرة ويكدّسها من دون أن ينظر إليها قبل أن يقول: «لقد ارتحت جيداً البارحة فأصبت أنت بحروق شمس خطرة».

- لا تقل لي إنك تشعر بالذنب.

لم يجبها ما أعطاها الرد الذي تحتاج إليه فأضافت: «رونان، لم

تكن تلك غلطتك وهذا لا يهدد حياتي. إنه مجرّد حرق شمس بالكاد أشعر به اليوم».

وكانت تكذب بهذا الشأن، لكن إذا ما أزال كلامها التكشيرة عن وجهه، وتلك النظرة الباردة، لاستحق الأمر المحاولة.

لم يقل شيئاً وعلمت أن الأمر يتخطى حروق الشمس.

- هل أنت غاضب لأني وافقت على الزواج؟.

ها قد أصابت الهدف! وسرت في أوصالها رعشة من جراء نظرته الباردة المليئة بالقسوة. وقال: «هذا يقع في خانة الأمور التي لا تعنيني».

- هذا ليس صحيحاً. نحن أصدقاء، وأريد أن أتحدّث إليك في الأمر.

وفجأة، شعرت بأنها إذا تحدثت إلى رونان، فستزول كل تلك الفوضى وعدم الثقة كما أحسّت بأن شعورها الرهيب بالوحدة منذ أن وافقت على الارتباط بالأمير ماهايل سيزول إلى الأبد.

شعرت بأنها ستعرف حينئذ ماذا تفعل.

وانفجرت قائلة: «ماتت هرتي، لذا وافقت على الزواج به».

راقها الاعتراف بالأمر بصوت مرتفع، مع أنها استطاعت أن تجزم حين نظرت إلى تعابير وجهه بأنه يظنها الآن مجنونة تماماً.

وسارعت تقول: «لكن عليك أن تفهم ما كانت هرتي تلك تعنيه لي».

أجابها رافعاً يده بحركة تشير إلى أنه لا يرغب في الاستماع إليه: «كلا، ليس علي أن أفهم شيئاً عن الهرّة. ولا أريدك أن تخبريني عن حياتك الخاصة، وما الذي تؤيده أمك أو ترفضه. مع أن كلينا يعرف أنها ما كانت لتوافق على وجودك على الشاطئ بثوب سباحة مكشوف وبرفقة رجل بالكاد تعرفينه».

www.elromancia.com

اعترضت قائلة: «لكني أعرفك».

فأجاب بهدوء: «كلا، لا تعرفينني، ولا يمكننا أن نكون أصدقاء، أتفهمين ذلك؟».

لقد ظنت أنهما تخطيا ذلك، وأنهما سيصبحان صديقين وربما أكثر إذ شاركته في الأيام القليلة الماضية ما لم تشارك به أحد. شعرت معه بأنها كوردة تتفتح في ضوء الشمس.

جعلها كونان تكشف عن نفسها أموراً لم تكن تعرف بوجودها، فالبقاء بقربه جعلها تشعر بالقوة والكفاءة والحياة. سهل عليها أن تكون على طبيعتها معه. كيف يمكن له أن يقول إنه لا يمكن أن يكونا صديقين؟

قالت بعناد: «كلا. لا أفهم».

أجابها بفظاظة: «في الواقع، لا يهم ذلك فعلاً، سواء فهمت أم لم تفعلي، طالما أني أفهم».

وشعرت باليأس. أحست كأنه في عرض البحر فيما هي على الشاطئ والمسافة بينهما تتسع أكثر فأكثر. أرادت أن يعود بأي طريقة فقالت: «حسناً، لن أخبرك شيئاً عني. لا شيء».

بدا مشككاً، لذا سارعت تضيف بحزن: «سأضع شريطاً لاصقاً على فمي. لكني لا أستطيع الخروج إلى الشمس اليوم وكنت آمل أن تعلمني لعبة الشطرنج. تقول أمي إنها لعبة للرجال ولا يجدر بالفتيات لعبها».

مع أنه حذرّها من ألا تذكر أمها أمامه، لكنها استغلت الفرصة واعتقدت أنها كانت محقة في ذلك، لأن شرارة ما التمعت في عينيه.

رأى أنها ستكون لاعبة ماهرة إذا تسنّت لها فرصة التعلّم، لكنه طرد الفكرة من رأسه بسرعة تماماً كما فعل بالابتسامة منذ بضع دقائق. وظل صامتاً يرفض تناول الطعم!

- هل تجيد لعب الشطرنج؟

إن تمكنّت فقط من دفعه للجلوس برفقتها وتمضية الوقت معها، فسرعان ما سيسهل عليها التعامل معه وتسليته. أرادت أن تعرف الكثير عنه، وأرادته أن يعرف الكثير عنها، ولم يتبق أمامها سوى بضعة أيام فقط! لا يمكنه إفساد الأمر هكذا.

تناول الفأس مجدداً وأخذ قطعة من الحطب وضربها بأقصى قوة ممكنة وبكل ما أوتي من غضب لدرجة أنها صرخت: «هل ستتجاهلني؟».

- سأحاول ذلك.

كانت شوشونا أميرة ولم تعتد أن يتجاهلها أحد بل اعتادت أن يفعل الناس ما ترغب فيه وما تريد منهم فعله.

لكن الوضع بدا مختلفاً هنا، وشعرت وكأنها قد تموت إذا تجاهلها، وإن لم يتمكنا من العودة إلى حيث وصلا البارحة، وهما يسبحان في عالم البحار الأزرق السحري.

وزاد شعورها باليأس. فهو يحمل مفتاح باب مقفل في داخلها. كيف يمكن أن يرفض فتح ذاك الباب السري؟ باب المكان الذي سيتيح لها أخيراً أن تعرف من تكون حقاً.

قالت ببرودة: «إذا أخبرت والدي أنك تصرفت معي بعدم لياقة فسوف يجعلك تمضي حياتك في السجن».

رمقها بنظرة فيها من الجرأة والاحتقار ما جعلها تشعر أنها بغاية الصغر.

عندئذ علمت أنه لن يتراجع عن قراره. لقد أيقنت بأنها مهما فعلت، سواء هددته أم حاولت استغلال عذوبتها للتلاعب به فلن يفعل ما تريد.

لقد رسم الخط الفاصل وانتهى.

www.elromancia.com

لِمَ فعل هذا؟ جلّ ما أرادته هو أن يعلّمها لعبة الشطرنج!

لكن الأمر لم يكن بتلك البساطة. هو يعرف ذلك على الرغم من أنها تحاول إنكاره! فالتعرف إلى بعضهما البعض أكثر سيؤدي إلى مضاعفات وتعقيدات ستترك أثرها على حياة كل منهما.

لكن لِمَ عساه يقلق حيال هذا الأمر اليوم؟ لم يعد لديهما سوى القليل من الوقت. ألا يمكنهما المضي على النحو ذاته؟ ألا يستطيعان الادعاء أنهما مجرّد شخصين عاديين يعيشان ظروفاً غير عادية؟

لكن أثناء تفكيرها بالأمر، أدركت أنه لا يحب الإدعاء، وهو من الواقعية بحيث لا يقبل بذلك. وعندما استرقت نظرة أخرى نحوه، أمكنها أن تجزم أنه عزم على أن يقلق حيال الأمر اليوم.

وخانتها قواها كلياً.

قالت تشعر بالهزيمة: «آسفة لكلامي عن أنّ أبي سيزجّك في السجن. كان كلاماً أحمق وطفولياً».

هز كتفيه قائلاً: «لا بأس، لا يهم».

تكلم كأنه توقع أن تتفوه بكلام كهذا وأن تتصرف كطفلة مدللة إن لم تجر الأمور على النحو الذي تريد.

لكنها لم تفعل شيئاً، أي شيء يدفعه إلى هذا الاعتقاد. إلا إذا أخذ بعين الاعتبار قبولها الزواج من رجل لا تحبه.

فهذا وحده يقول الكثير الكثير عن شخصيتها بالنسبة لرجل مثل رونان الذي يعتمد الاستقامة والشرف كدرع يلبسه.

- ما كنت لأفعل أمراً رهيباً كهذا، لن أكذب بشأنك فأنا لست كاذبة.

لكن ألم تكذب على نفسها طوال الوقت، ألم تكن كاذبة بشأن ماهايل وزواجها وحياتها؟

أجابها بحدّة: «قلت إن الأمر لا يهم».

- ها أنت غاضب مني فعلاً الآن.

تنهد بعمق.

نظرت شوشونا إلى نفسها من خلال عينيه اللتين قيّمتاها بوحشية بالغة وانفجرت بالبكاء ثم هرعت إلى المنزل وصفقت باب غرفتها حيث بكت حتى جفت دموعها.

تساءل رونان متى ستكف عن البكاء. ياله من نذل! إلى أي مدى كان تعليمها الشطرنج صعباً عليه؟

لكن الأمر لا يتعلق بتعليمها كيفية اللعب، بل بحقيقة أن الأمور معقّدة بما يكفي لدرجة أنها تبكي بسبب أمر تافه كرفضه تعليمها اللعب.

لكن حين قالت إن أمها لم ترغب في أن تتعلم الشطرنج لأنها تعتبر هذه اللعبة لعبة ذكورية، دفعه شيء ما في داخله إلى أن يلقنها فوراً قواعد اللعبة.

كان عقلها راجحاً. هو يراهن على أنها يمكن أن تكون أفضل من أي لاعب عادي حالما تتعلم أسس اللعبة بل لعلها ستصبح لاعبة ماهرة.

لم تخرج من الغرفة طيلة النهار. وعندما أعلمها أن الغداء جاهز، أجابته من وراء الباب بصوت أبح أنها ليست جائعة.

وها هي الآن تعطيه الجواب نفسه عندما دعاها لتناول وجبة العشاء، وكان من شأن ذلك أن يجعله يرتاح. فهذا ما يحتاجه بالضبط للحفاظ على وعده: المسافة والابتعاد. لكنه وبدلاً من ذلك أحسّ بالقلق والذنب حيال الألم الذي سببّه لها.

قال لها من وراء الباب: «هيا، يجب أن تأكلي».

- لماذا؟ هل سيشعرك ذلك بأنك أتممت واجباتك لناحية الاهتمام بي؟ هل يدخل تأمين الطعام ضمن برنامج تأمين الحماية لي؟ ارحل من

هنا!

فتح الباب قليلاً. كانت تجلس على السرير وهي ترتدي ذاك السروال القصير الذي يظهر ساقيها بلونهما البرونزي الساحر. نظرت إليه عندما دخل لكنها سرعان ما أخفضت رأسها. بدت عيناها منتفختين من كثرة البكاء وشعرها الصبياني مشعثاً تماماً.

- قلت لك أن ترحل.

خطا خطوة إلى داخل الغرفة وقال: «عليك أن تأكلي».

- أتعلم شيئاً؟ لست طفلة صغيرة. وليس عليك أن تقول لي إنه يجب أن آكل.

سبق وأدرك أنها ليست طفلة إذ رآها مراراً في ملابس السباحة تلك.

وقد أدرك كذلك أن مهمته فشلت من نواح عدّة. فهو سيعيدها سالمة لكن متأذية مع ذلك، بشعرها المقصوص وجلدها المحروق وجوعها وعينيها المنتفختين من البكاء. مازال أمامهما بضع ساعات قبل اجتياز المياه برفقتها وتسليمها لغراي ولا يمكن أن تبكي كل ذلك الوقت.

انقبضت معدته لهذه الفكرة. هل يمكن أن تفعل ذلك؟ وتأملها ليرى إن كانت قد انتهت من البكاء فعلاً.

وكانت قد وجدت مجلة في مكان ما فراحت تقرأ فيها لتتفادى نظراته. بدا له أن المجلة تعود للعام ١٩٥٧، ومع ذلك كانت تقرأها وكأنها تكتشف على صفحاتها مستقبل حياتها. ولمعت عيناها، فهل هذه دموع تتجمع فيهما؟

قال لها بانزعاج وهو ينقل ثقل جسمه من قدم إلى أخرى: «اسمعي، أنا لا أحاول أن أتصرف بدناءة معك لكني أعلمك فقط كيف ينبغي للأمور أن تكون».

انبرت تقول له وقد رمت المجلة: «أحقاً ما تقول؟».

ورمقته بنظرات تطاير منها الشرر واستطاع أن يرى بوضوح أن الغضب يملأ عينيها وليس الدموع: «يصادف أني متعبة ومشمئزة من كثرة ما قال لي الآخرون كيف ينبغي للأمور أن تكون. لماذا أنت من يقرّر كيف ستكون؟ هل لأنك رجل؟».

وأصابت بكلامها الهدف.

أجابها عن غير اقتناع تام: «بل لأني مكلف القيام بوظيفة».

وقفزت عن السرير فأخبره حدسه بوجوب الابتعاد لكن غريزة أقوى أجبرته على البقاء.

وقفت أمامه مباشرة ونظرت إليه بتحدٍ. فتسمر في مكانه كالأحمق.

عكست نظراتها كل التناقضات التي تحملها من براءة وشغف، حماسة وتردّد، رغبة وشك.

لقد سمع بعقاقير تخدّر الرجل وتشل قدرته بمجرد تناولها، لكنه لم يصدق ذلك حتى تلك اللحظة. أراد الابتعاد لكنه لم يتمتع بالإرادة الكافية لفعل ذلك إذ شلّته نظراتها تماماً.

وسرعان ما تبخر التردّد والشك بعد أن شدّته ذراعاها نحوها بقوة وعذوبة فذابا في عناق ساحر. أحاطت به رائحتها الأنثوية الناعمة وشعر بدفء بشرتها من خلال السترة التي تفصل بينها وبين جسمه.

كانت عذوبة العناق متعبة بشكل يتخطى كل تفكير منطقي عاقل. لكن الجندي المنضبط فيه كان يفرّق تماماً بين العواطف وضرورة القيام بالواجب.

لو استمر بذلك واستسلم لعناقها ورغبته في إبقاء رأسها مدفوناً في صدره وسمح للأمور بأن تسير إلى حيث أرادتها أن تذهب، لأصبح أشبه بحصان برّي أفلت من الرسن وأتيح له فرصة الركض في البراري، حصان لن يعيده شيء إلى رسنه بعد أن يبتعد.

الجندي الذي في داخله أراد السيطرة أما الرجل فرغب في الفرار من أيّ سيطرة، والتصرّف بما تقتضيه طبيعة الوضع القائم بينهما. عندئذ، ستصبح الأميرة شوشونا موضع الشك وسيلغى زواجها. ومجدداً لن يكون الخيار خيارها، بل ستترك نفسها تنقاد وراء قوى تعتبرها خارجة عن سيطرتها.

ولم يكن هذا ما يريده رونان لها.

لم يشأ أن تتزوج أياً كان إلا...؟

إلا مَن؟

هو! الجندي الذي لا يؤمن بالزواج؟ ويكرهه؟ لابد أن هذا خلل جيني في العائلة. إنه القدرة على اقناع الذات في مهلة قصيرة جداً وقبل أن يتمكّن الواقع من التدخل، بأن الزواج قد ينجح. وأبعد نفسه عنها بقوة.

ثمة فرق بينه وبين أمه، فهو ليس مضطراً للسير في الحلم حتى النهاية لأنه يعرف مسبقاً نهاية كل قصة حب.

وانتصر الجندي. انتصر الواقع على الخيال، والتحليل العملي على العواطف، والانضباط على طواعية قلب الرجل.

لكنه أدرك أنه مجرد انتصار هزيل ولاحظ أن كلمة حب عادت تقفز إلى الواجهة مجدداً بعد أن ألغاها من قاموسه منذ احتفل بعيد مولده الثالث عشر. عادت هذه الكلمة تطرح نفسها في حياته بوتيرة مزعجة.

أجبر رونان نفسه على صدّ نظرة شوشونا المشتعلة شغفاً، والرقيقة استسلاماً. حاول جاهداً طرد أيّ أثر للعاطفة من صوته لكن فشله وصوته الغاضب البارد أدهشاه كثيراً. لم يكن غاضباً منها بل من نفسه ومن مدى ضعفه وعجزه وتوقه للحصول على ما لا أمل لديه في الحصول عليه.

الأمل! واجتاحته رغبة مفاجئة في استعادة براءته، وفي التمكّن من الإيمان بأمور فقد إيمانه بها منذ وقت طويل.

- هل تستغلينني لشراء حريتك؟.

تراجعت عنه وعادت الدموع إلى عينيها إن لم يكن مخطئاً، ما شكّل إثباتاً على أن ما مرّ به هو مجرد لحظة جنون مرحلية، لحظة فكر فيها وفي نفسه وفي الزواج في آن واحد.

لكن الحقيقة أبسط بكثير. فهو جندي، خشن، متصلب وغير مناسب إطلاقاً لأميرة أو لأي مخلوق ضعيف حساس.

لكنه لم يرّ أي أثر للضعف في شوشونا وهي تضع يديها الصغيرتين على صدره وتدفعه بقوة مذهلة كادت تخل بتوازنه وتوقعه أرضاً. تراجع بضع خطوات إلى الوراء متعثراً واندفعت هي لتصفق الباب وراءه بقوة إعصار.

وفيما هو يتأمل الباب الموصد في وجهه، خطر له أنه من الخطأ عدم الاستمرار في تسمية الأعاصير وتوصيفها بأوصاف النساء، فهي متقلبة وغير متوقعة تماماً بحيث لا يستطيع أيّ رجل الحفاظ على توازنه إزاء غضبها وفورانها.

صرخت في أعقابه من وراء الباب الموصد: «اذهب إلى الجحيم».

وأتبعت ذلك بإحدى الشتائم التي يستخدمها العمال والجنود، شتيمة شعبية جداً بحيث قد تصاب أمها بسكتة قلبية لو سمعتها تخرج من بين شفتي ابنتها الأميرة.

ها هو يعيد شوشونا امرأة مختلفة، من دون شعر، محروقة تتضوّر جوعاً وقادرة على خوض سباق في المفردات مع عمال بناء.

رحل وهو يتمتم في سره: «حسناً، لم تجر الأمور على خير».

لكن حين وصل إلى الخارج وتأمّل الظلام الذي تنيره النجوم والسماء المخملية التي تعانق البحر، أعاد التفكير في ما توصّل إليه.

لعل الأمور سارت جيداً، فشوشونا أصبحت امرأة تعمل على أن تكتشف مدى قوتها، أمرأة ترغب في معرفة كيفية استعمال قوة الأعاصير الكامنة فيها بحيث لا تتقاذفها قوى خارجية. فقد بدا له أن أيّ نسمة رياح كانت تجعلها تغير اتجاهها في الماضي.

ألم تقل له إنها اتخذت قرارها بالزواج لأن هرتها ماتت؟

حتى أمه كانت لتجد سبباً أفضل للزواج من رجل!

لكن الطريقة التي دفعته بها للخروج وصفقت الباب وراءه جعلته يعتقد أنها كادت تصل إلى مرحلة اكتشاف الذات. فهل ستتمسّك بما يكفي باكتشافها لذاتها بحيث ترفض الزواج من رجل لا تحبه؟

هل يمكن لها أن تفهم أن في داخلها تكمن قوة اختيار الحياة التي تريدها لنفسها؟

وعلى الرغم من صفاء الليل وسكونه، آلمه رأسه من شدة التفكير في تلك الأمور.

فإحدى المسائل التي يقدّرها كثيراً في نمط حياته العسكرية هي أنه يعيش في عالم جاف قاحل منظم حيث لا مجال للتفكير والتأويل. كان يفعل ما تدّرب على القيام به، ويتبع التعليمات من دون سؤال أو تفكير.

واستذكر لحظة العناق ورأسها المدفون في صدره فانتفض، لكنه شعر أن الأثر الذي زرعته في نفسه لن يسهل محوه.

وبعد فترة طويلة نظر إلى ساعته فوجد أنّ الوقت تجاوز منتصف الليل. أقل من ثمان وأربعين ساعة ويغادران الجزيرة ويسلمها لغراي.

لكن ماذا لو أنّ حياتها لا تزال في خطر؟

حسناً، إن كان الأمر كذلك، وإن لم تحل الأمور بعد، فعلى غراي أن يفكر في خطة بديلة لحماية الأميرة، خطة لا تشمل رونان.

لكن هل يمكن أن يوكل أمر حمايتها لشخص آخر إن كانت حياتها

لا تزال في خطر؟

هل سيكون أمامه خيار آخر؟ إذا أمروه بالعودة إلى اكسكاليبر فعليه الرحيل سواء أكانت بخطر أم لا.

وتمنى ألاّ يجد نفسه في مثل هذا الموقف وألاّ يتم تخييره. لكن إن حصل ذلك فأي نداء يلبي؟ أيلبي نداء الواجب أم نداء قلبه؟

لم يضطر جايك رونان لطرح هذا السؤال على نفسه قط من قبل.

ولم يرقه إطلاقاً طرحه الآن.

فطرح مثل هذا السؤال يعني أن أمراً ما في داخله قد تحوّل وتغيّر وبات هو يكترث لشخص آخر بقدر ما يهتم بالقيام بالواجب وحين يحصل ذلك تستحيل عودة الأمور إلى ما كانت عليه من قبل.

وهذا ما شعر به في الساعات الأربع وعشرين التالية.

حاول يائساً أن يعود إلى ما كان عليه من قبل، ذاك الرجل الهادئ البارد الطباع، المهني، المشهور بقدرته على السيطرة على عواطفه.

وكاد ينجح في تحقيق ذلك.

لم تكن محاولة إبقاء الحواجز بينهما مرفوعة مسلية او سهلة. كانت تستعمل المطبخ أكثر منه بعد أن رفضت تناول كل ما يتركه لها، وقد وجد طعامها المحروق في كافة أنحاء المطبخ مع قطع الفواكه المهروسة. لم يعرف ما إذا كانت تحاول تعذيبه بغسل الملابس وتعليقها على حبل بجانب مكان الاستحمام الخارجي لكنه تعذب فعلاً لرؤيتها تحاول جاهدة الاعتماد على نفسها.

كان بإمكانه طبعاً أن يساعدها ولكن لماذا؟ فحياتها لن تتضمن أعمالاً منزلية أو مهاماً شاقة.

ولم تكن حياته هو لتحتمل مضاعفات دعوتها مجدداً لدخولها.

آلمته فترات الصمت الطويلة ومحاولات تجاهله وادعاء الاشمئزاز كلما مرّت بجانبه، ومحاولات إخفاء الأذى الذي لحق بها خلف

الصمت المطبق، لكن هذا كله لصالحها في النهاية.

حتى عندما وجد نبتة الألوة فيرا التي يعلم أنها تخفف من حدّة الحروق وترطّب وتبرّد وتشفي بشرتها المقشرة بالكامل لم يسمح لنفسه بعرض الفكرة عليها.

وحتى عندما رآها تجلس وحيدة إلى طاولة الطعام تحرّك قطع الشطرنج من دون أمل لم يسمح لنفسه بأن يستسلم لموجة الضعف المفاجئة التي جعلته يرغب في أن يعلمّها أصول اللعب.

فأيّ خطوة من هذا النوع ستؤدي إلى ظهور حاجات أخرى، كحاجته لأن يجعلها تضحك، وحاجته لأن يراها تنجح وحاجته أن يرى لسانها بين أسنانها وهي تركزّ وحاجته لأن يلمس شعرها، فضلاً عن معانقتها بقوة ولو لمرّة واحدة عناقاً حاراً يحمل ذكراه في قلبه إلى الأبد.

لكنه لم يذعن لرغباته. بل التزم حرفياً بقواعد الانضباط التي اكتسبها كجندي، قواعد تفرض عليه فعل ما هو صواب بدلاً من القيام بما يرغب فيه.

وكاد ينجح.

وكاد يفلح تماماً في السير بخطته حتى النهاية لو لم تهب الريح.

وعلت الأمواج في الخليج. وبدأت الأميرة شوشونا التي وضعت سترة رقيقة فوق حروقها تركض نحوها وتضحك بمرح وحبور، وهي تحمل تحت ذراعها لوح ركوب الأمواج القديم.

ناداها من على درج الكوخ: «اسمعي، لست سباحة ماهرة بما يكفي للسباحة في هذه الظروف».

رمقته بنظرة ومدّت له لسانها تسخر منه ثم ركضت بخطى أسرع وهي تقذف الرمال بقدميها الحافيتين.

فأطلق تنهيدة استسلام ولحق بها.

٧ - جناح ملاك

وجدت شوشونا الأمواج رائعة بما يفوق الوصف وهي تتكسّر على الشاطئ فتشكل انفجاراً قوياً من رغوة وزبد.

وما أن لامست قدميها مياه الأمواج المحملة بالرمال، حتى شعرت بكفه على كتفها بقوة جعلتها تستدير في مكانها.

ومع أنها أمضت وقتاً طويلاً تتخيل لمسته إلاّ أنها لم تتصور أنها مرضية إلى هذا الحد! استدارت لتواجهه وحدّقت فيه قائلة: «ما الأمر؟».

- لست بارعة بما يكفي لتسبحي في التيار.

- حسناً، أنت لست خبيراً فقد قلت إن الأمواج العالية لا تضرب الخليج وقد تبيّن أنك مخطئ.

- لكني لست مخطئاً حيال مهارتك في السباحة. ولن أسمح لك بالسباحة وحدك.

وبدت على وجهه تلك النظرة الشرسة، نظرة المحارب الذي لا يقبل أن يتحداه أحد.

لكن شوشونا كانت تعدّ الأيام والساعات وهي تعلم أن وقت الحرية يكاد ينقضي فغداً سوف يرحلان من هنا. وكانت تدرك أمراً آخر وهو أنها مسؤولة عن حياتها وقراراتها.

تسمّرت في مكانها ورفعت ذقنها ونظرت إليه قائلة: «راودني هذا الحلم طيلة حياتي وسأحققه الآن».

www.elromancia.com

بدا غير متأثر إطلاقاً بعزيمتها المستحدثة، غير مبالٍ باكتشافها لقوتها الذاتية، منيعاً بوجه المنحى الذي اتخذته أحلام حياتها. وطوى ذراعيه على صدره وثبت قدميه في الأرض متخذاً وضعية تُظهر استعداده لحملها بالقوة على كتفه إذا اضطر لذلك.

وعلى الرغم من حلاوة فكرة حملها وهي تصرخ وتركله طيلة الطريق نحو الكوخ، ظلت فكرة ركوب الأمواج أهم بالنسبة لها، ورغبت فجأة في أن تجعله يدرك ذلك.

- إنه حلم حياتي يا رونان وها هي الأمواج. ألا تظن أن علينا النظر إلى الأمر وكأنه نعمة من السماء.

- كلا.

- رونان، أمضيت حياتي والآخرون يتخذون القرارات عني. وقد سمحت لهم بذلك لكن بدءاً من هذه اللحظة وفي هذا المكان، لن أسمح بتكرار ذلك، ولا حتى معك.

ونظر إلى الأمواج المتقاذفة ثم نظر إليها فتمكنت من رؤية الصراع الذي يدور في داخله في عينيه.

- اسمع يا رونان، أنا لا أرغب في ذلك وحسب بل أحتاجه. عليّ أن أختبر شعور ركوب الأمواج والإحساس بالقوة والقدرة على كبحها. أشعر أني إذا تمكنت من ذلك، إذا سيطرت على تلك الأمواج، فستشكّل تلك بداية لي. إذا تمكنت من فعل ذلك، فسأقدر على فعل أي شيء.

فجأة أيقنت أنها لم تقل يوماً كلاماً أصدق من هذا. وأدركت فجأة أنها ارتكبت خطأً أساسياً حين ظنت أنه يحمل مفتاح الأسرار المسجونة فيها.

عندما بدآ هذه المغامرة قالت إنها لا تعلم كيف تجد ما تبحث عنه لأنها لا تعرف أين تبحث، لكنها أدركت فجأة أين يجدر أن تفتش.

كل إجابة أرادت معرفتها موجودة في داخلها. وجزء من ذلك يرتبط بتلك الأمواج وباكتشاف ما هي قادرة عليه، وبإذكاء روح المغامرة لديها بدلاً من التنكر لها. لا يمكنها أن تحمّل رونان أو أيّ شخص آخر ولا حتى أمها أو أبيها او ماهايل مسؤولية حياتها فهي تتولى المسؤولية هنا. إنها تتولى مسؤولية العناية بنفسها فليس هو من يحمل مفتاح أسرارها بل هي.

أدركت أن أفكارها الداخلية انعكست على وجهها، لأن رونان راح يتأملها ثم هزّ رأسه. وهذه النظرة على وجهه ذكرى ستحملها معها وستحبها بقدر شعورها بالرضا والمتعة لركوبها الأمواج أو ربما أكثر.

لقد حازت تقدير رونان وإعجابه ربما رغماً عنه لكنها نالتهما. فقد نظر إليها طويلاً وبعمق وشعر بالرضا لما رآه.

استدارت ووضعت قدمها على لوح ركوب الأمواج وضحكت وهي تقفز فوق موجة تكسّرت من حولها وغمرتها بالرغوة والمياه المالحة.

بعدئذ، وضعت اللوح بعناية أمامها وتمدّدت عليه على بطنها. كان زلقاً فانزلق من تحتها وكأنه حي. وضربتها إحدى الموجات بقوة لكنها وقفت وركضت وراء اللوح.

كانت مبللة من رأسها حتى قدميها، لكنها سعيدة جداً وهي تلتقط اللوح وتنفض عنها قطرات الماء وتحاول مجدداً، ومجدداً. كان الأمر محبطاً فهي لم تتمكن مرّة من التمدد عليه من دون أن يرميها عنه. فكيف لها أن تركب الأمواج؟ وبدأت تحس بألم في ذراعيها وكتفيها. وخطر لها أن الأمور ستكون أصعب مما ظنت وهي تشاهد راكبي الأمواج عبر شاشة التلفزيون. ومع ذلك شعرت بأنها سعيدة فقد وجدت الأمر مثيراً للتحدي. أرادت أن تختبر قوة عزمها وجسارتها.

كما أن اللحظات التي تغيّر حياة المرء لا يفترض بها أن تكون سهلة! اقترب رونان منها ورفعها عن الرمال ثم أمسك باللوح الذي قذفته الأمواج لكنها أخذته منه.

وتنهّد قائلاً: «دعيني أعطيك بعض الإرشادات قبل أن تعودي. أول ما عليك فعله هو التفكير في أنك لا تريدين قهر الأمواج بل التفاعل معها وفهم حركتها والسعي لأن تكوني جزءاً منها. أعطيني ذاك اللوح».

سلمّته اللوح بطريقة تنم عن أنها تثق به فهو يستطيع أن يحمله ويعود به إلى الكوخ، لكنها علمت بطريقة ما أنه بات ملتزماً بتحقيق حلمها مثلها تماماً، فهو لم يكن مخادعاً بل واضحاً وشفافاً. قال لها: «أنت محظوظة لأنه لوح طويل لكنه قديم وليس له زمام. لذا عليك ان تنتبهي دوماً فضربة اللوح قاسية جداً في الماء. صدقيني أنه مؤلم جداً عندما يرتطم بك».

أومأت برأسها فرسى اللوح على الرمال.

- حسناً، تمددي عليه على بطنك.

أدركت قيمة ما يقدمه لها. إنها تجربته الخاصة وأيقنت أن فرص نجاحها تقتضي الالتزام بما يقوله لها. فالقوة الحقيقية لا تعني السيطرة بل التفاعل مع العناصر الموجودة وفهم حركتها.

وهذا ما كان عليه رونان، فهو ليس عنصراً يمكن السيطرة عليه وترويضه بل عنصر يجب فهمه والتفاعل معه.

عندما استلقت على اللوح أعطاها الارشادات اللازمة التي تتعلق بالوضعية التي يجب اتخاذها، وعلّمها كيف تضع ذقنها وأين تركز ثقل جسمها على اللوح.

وهكذا، تعلّمت درساً آخر في القوة فأدركت أنها تكمن في الحفاظ على التوازن. وعلمّها كيف ترصد الموجة التي يصلح ركوبها. وحذرها

بحزم: «يجب ألا تكون الموجة على شكل نصف دائرة بل عليك أن تنتظري تلك الشبيهة بالأهرامات وابدئي بالموجات الدائرية الصغيرة. سنبقيك هنا في مكان لا تتجاوز فيه المياه الردفين حتى تتمكني منها تماماً».

تكلم بثقة مطلقة من دون أدنى شك في أنها تفهم كل كلمة يقولها وفي أنها ستنجح في ركوب الأمواج.

- هيا قومي ببعض تمارين القفز هنا على الرمال. وتمسّكي بالحاجز.

- ليس هناك حواجز.

- ضعي يديك على الحافة إذاً.

وبيّن لها كيفية القيام بذلك عبر الإمساك بيديها وتثبيتهما فحاولت ألا تجعل لمساته تشتت تفكيرها! وتابع قائلاً: «ثم ادفعي نفسك نحو الأعلى واحني ظهرك واطوي ركبتيك في البداية، وضعي إحدى ساقيك تحتك ثم اقفزي بأقصى سرعة ممكنة. إذا فعلت هذا ببطء فستقعين بمجرد وصولك إلى الماء».

تحت نظراته الثاقبة المتمرّسة، قامت بالتمرين عشرات المرّات. إذا استمرت في إجراء التمارين فستشعر بالتعب قبل القيام فعلاً بركوب الموج!.

قال أخيراً بنبرة راضية وهو ينزع عنه القميص ويرميها على الرمال: «حسناً، لنركب الأمواج!».

لم يذهبا بعيداً، فقد وصلت المياه إلى ردفيه وغمرتها هي حتى أسفل عظمة صدرها.

- هذا المكان هو الأفضل للتعلم.

ثبت اللوح لها لبرهة بينما نجحت بالقفز عليه بطريقة تفتقر إلى الرشاقة.

www.elromancia.com

- لا تحاولي الوقوف في البداية، بل اكتفي بركوب اللوح حتى تدركي كيف ينزلق.

- ينزلق؟ كما على الثلوج؟

قال لها: «أجل، الكلمة ذاتها».

ابتسمت وهي تفكر في أن ما تفعله يكاد يشبه التزلج. ربما يجب أن تشعر بالرضا لتحقيقها حلمين في فرصة واحدة!

- حسناً، ها هي قادمة، جذفي بذراعيك لكن ليس بسرعة فائقة بل لإيجاد ما يكفي من الزخم وحسب.

شعرت شوشونا بالموجة ترفع اللوح وتجذبه ثم انتابها إحساس مذهل وكأنها رأس صاري الموجة. كان اللوح يتحرّك مدفوعاً بقوته الذاتية ويقذفها إلى الأمام بسرعة مبهجة لا تصدّق. استغرقت العملية ثانيتين كاملتين ومن ثم لفظتها الموجة على الرمال بقوة ارتفع معها قميصها والتصقت حبات الرمال بجلدها.

صرخ قائلاً: «انهضي، ها هي آتية».

لكنها تأخرت فضربتها الموجة التالية ملصقة المزيد من الرمال على جلدها.

وفي غضون لحظات كان بقربها يرفعها على قدميها.

كانت تضحك بشدة بحيث كادت تختنق: «يا إلهي، رونان، هل من شيء في العالم أروع من ذلك؟».

نظر إليها مبتسماً فقال: «الآن أنت متحمسة».

-متحمسة؟.

- أجل، إنه التعبير المستعمل للإشارة إلى راكب الأمواج المستعد، المتحمّس للغاية وبالكاد يصبر.

وافقته الرأي: «أجل هذا أنا متحمسة».

وكان هذا صحيحاً إذ شعرت وكأنها انتظرت طيلة حياتها هذا

الإحساس بالإثارة والحياة.

- هل أنت جاهزة لتجربة الركوب وقوفاً.

أجابته: «جاهزة تماماً».

قال لها وهو يهز رأسه بمكر: «لديك القدرة لتكوني من أفضل الجنود على الإطلاق».

عرفت أنها حصلت منه بذلك على أفضل إطراء.

- أريد القيام بذلك بنفسي!.

- حبيبتي. في عالم ركوب الأمواج لا يمكنك القيام بذلك إلا بنفسك.

حبيبتي. هل نبرة الحبور التي لفظ بها كلمة التحبب تلك هي التي ملأتها بهذا النوع الجديد من القوة والثقة؟

وعادت تركب اللوح وتتخذ الوضعية المناسبة عليه ثم استدارت تراقب من فوق كتفها قدوم الموجة المناسبة.

عامت على بعض الموجات الدائرية الصغيرة ومن ثم رأت إحداها قادمة فاستعدت. لكن وبالرغم من التمارين كان اللوح زلقاً جداً فلم يثبت تحتها وابتلعتها الموجة والتفت حولها وقذفتها هي واللوح من دون أدنى جهد نحو الشاطئ.

نهضت وهي تدرك أن رونان ينتظر ويراقب. لكنها بالرغم من فمها المليء بالمياه المالحة أحبت التجربة! أغرمت بشعورها بأنها جزء من المياه وأحبت إحساس التحدي. ولم تشعر بسوى الإثارة وهي تمسك باللوح وتسبح لتحاول مجدداً، ومجدداً، ومجدداً.

كان رونان يراقبها ويسدي لها بعض النصائح من وقت إلى آخر ويشجعها، لكنه محق. ثمة طريقة واحدة للقيام بالأمر، ولا يمكن لأحد القيام بذلك عنك، تماماً كعيش الحياة. لم يحاول أن يستعيد اللوح لها حتى كما لم يحاول مساعدتها على الركوب بعد محاولتها للمرة المئة. هل

www.elromancia.com

كان ينتظر حتى تفشل؟ أو تتعب أو تحبط ليسرق العزم من قلبها؟

لكن عندما نظرت إلى الخطوط القوية على وجهه، لم يكن هذا ما رأته بل رأت رجلاً يؤمن بأنها تستطيع أن تنجح، رجلاً متمسكاً بهذه القناعة فيما إيمانها هي بنجاحها قد يوهن.

ثقته بها والنظرة على وجهه دفعاها إلى قلب اللوح والعودة إلى الشاطئ مرّة أخرى لتراقب الأمواج من فوق كتفها. تلك النظرة جعلت شوشونا تشعر بأنها تفضّل أن تموت على ان تتراجع.

وقد نجح الأمر بشكل مذهل فجاءت الموجة ورفعتها هي واللوح وشعرت بقدميها ثابتتين على اللوح، وانحنت نحو الأرض استعداداً للوثوب في اللحظة المناسبة تماماً.

ركبت الموجة للحظات، لكن هذا كان كافياً لتسمع أغاني البحر تحتها، وتشعر بتوحدها مع تلك القوة، وتتذوقها وتعرفها وتبتغيها. واختفى الشعور بالإرهاق ليحل مكانه إحساس خالص بالابتهاج.

في الواقع، لم تعد واثقة تماماً ما إذا كان شعورها بالحبور ناجماً عن ركوب الموجة أو رؤية نظرة الاحترام الخالص في عيني رونان حين اقترب منها وقال لها: «اضربي كفك بكفي».

وفعلت لتشعر بقوته كما شعرت بقوة الموجة.

- إنها لغة خاصة بين راكبي الأمواج عند قيامهم بعمل عظيم.

ونجحت لمرتين أخريين في ركوب الأمواج قبل أن يجعلها الإرهاق تتوقف لترتمي على الشاطئ. كانت ترتجف من الإرهاق والإجهاد وقد التصق بها القميص الذي تبلل تماماً.

همست تقول: «لقد نجحت!».

- أجل، فعلت.

وفكرت بكل الأمور التي قامت بها منذ حطت رحالها على هذه الجزيرة، وأطلقت تنهيدة رضا. لقد باتت شخصاً مختلفاً عمن كانت

عليه قبل بضعة أيام، شخصاً أكثر ثقة بنفسه. وقد أحبت إحساسها بقوتها، وبقدرتها على العمل إذا تمتعت بإرادة كافية.

قالت له: «أريد أن أرى ما تستطيع أنت فعله».

كانت تقصد بذلك رؤيته يركب الأمواج، لكن حين وقع نظرها على عينيه وجدته يسمرّ نظراته على عينيها.

وطلبت منه مجدداً بنبرة أقرب إلى التوسّل: «هيا أرني».

أرني إلى أين يمكن للمرء الوصول وكل ما يمكنه أن يكون عليه.

تردد ونظر في عينيها مجدداً ثم إلى أمواج البحر الأقل إغراءً من نظراتها. ورأت التوق في عينيه وعلمت أنه متحمس. تخيّلته ذاك الصبي الذي كان عليه يوماً قبل أن يتعلّم كيف يضبط قوته ويروضها ويكبح جماحها. والتقط اللوح وقفز فوق الأمواج المتكسرة إلى عمق المياه.

ألقى اللوح ثم سبح قليلاً، بقوة لا تقل عن قوة البحر جمالاً. شق طريقه بقوة بين الأمواج المتكسر وارتفع بجسمه قليلاً متخذاً وضعية الجلوس مثبتاً اللوح وانتظر الأمواج المتلاطمة بصبر وثبات. رأت إحدى الأمواج تقترب وعرفت أنه سيختار ركوبها.

أخفض صدره وجذف قليلاً إلى الأمام ببضع ضربات قوية لتحريك اللوح ثم نظر إلى الخلف. وفي اللحظة التي رفعت فيها الموجة مؤخرة اللوح ارتفع في الهواء في قفزة واحدة سريعة.

ركب اللوح بقدمين متباعدتين وركبتين مثنيتين وذراعين ممدودتين في وضعية الاستعداد للوثوب. واستطاعت أن تراه يغير وضعيته متحكماً بوزنه ليسير وجهة اللوح. كان في الواقع يشق الأمواج وينحني معها برشاقة وسلاسة وثقة تخطف الأنفاس ما جعل الأمر يبدو سهلاً بشكل مذهل.

ها هو إذاً المكان الذي تبلغه الأمور. عندما يمارس المرء قوته

بالكامل يصبح وكأنه يرقص البالية فلا يتصارع مع القوى الأخرى بل ينسجم معها في رقصة حميمة جميلة.

ورونان يركب الأمواج بهذا اليقين.

عرفت شوشونا طيلة حياتها رجالاً يسمون أنفسهم أمراء، لكنها المرّة الأولى التي ترى فيها رجلاً يملك الأرض بحق ويتوحّد معها ويشعر بالارتياح والانسجام مع نفسه وقوته.

وثمة عنصر آخر مهم في ما يفعله وقد لاحظته عندما سابق الأمواج وهو أنه لا يستعرض قواه مطلقاً. بل جعلها ترى مدى حريته وقوته ورشاقته في رقصة معقدة مع أمواج البحر.

لعله كان يسيطر على البحر، لكنه اختار أن يذعن ويستسلم للكيمياء بينهما، لتلك الشرارة التي اشتعلت لحظة لمسها وجرّها على الأرض بعيداً عن الخطر منذ أسبوع واحد فقط، أسبوع بدا لها وكأنه دهر.

كان رونان يفعل ما يفعله الرجل للمرأة منذ بدء العصور. يفاخر بنفسه من دون أن يدخل في متاهة الكلمات وتعقيداتها ليقول إني قوي، لا أخاف شيئاً، إني ماهر وصياد وسأصطاد لك. إني محارب وسأحميك.

شعرت بخفقات قلبها تتراقص مع نغمات الأغنية التي كان ينشدها لها من بين الأمواج.

لكنه عاد أخيراً ورمى اللوح أرضاً ثم ارتمى على بطنه فوق الرمال بجانبها.

رغبت في تأمله مجدداً، لكنها أدركت أنها في منطقة الخطر. فهو يشكك في دوافعها، ولن يسمح لها بأن تقنعه بأن المسألة تتعلق بهما وحسب وليس بايجاد وسيلة مناسبة للهرب من قدرها.

محاولة إقناعه بهذا الأمر قد تعرّض ما تبقى لهما من وقت معاً

للخطر. فغداً وبعد بضع ساعات من الآن سوف يرحلان من هنا.

بدا وكأن الأفكار نفسها تراودها إذ أطلعها على خططه لليوم التالي. سيستعملان القارب للعبور، ويعثران على المكان الذي ركنا فيه الدراجة النارية بين الأشجار. وسألها إن كانت تعرف مقهى قريباً من القصر يقدم السمك والبطاطا المقلية! فأخبرته بأنها شبه متأكدة من أنه مقهى غابي، فهو المقهى الوحيد البريطاني الطراز على الجزيرة.

قال لها: «سوف نلتقي الكولونيل بيترسون هناك عند الثالثة».

- ومن ثم؟

- إن كان الوضع آمناً، فسوف تذهبين إلى المنزل. وإن لم يكن كذلك، فعلى الأرجح أنك ستختبئين مدة أطول.

- معك؟.

أجابها بهدوء: «كلا يا شوشونا، ليس معي».

سيكون أمامها الليلة بعد، وفرصة أخرى لركوب الدراجة النارية ومن ثم، ومهما حصل، سينتهي كل ما بينهما.

وهدّدت أشباح الحزن بالسيطرة عليها لكنها أدركت أنها لا تريد افساد أي لحظة في التفكير بما سيأتي وأدركت أنه سيتسنى لها الوقت لتحزن.

الآن هو وقت الفرح والتواصل. كانت تعلم أنها لحظات وداع ما جعله يخفف من احتراسه وتحفظه.

نظرت شوشونا إلى كتفيه العريضتين وهو ممدّد على الرمال بقربها، وإلى ظهره الذي يضيق عند خصره.

أدركت أنه يراقبها بطرف عينه وهي تتأمله، ساعاً لها بذلك.

وضعت يدها بين كتفيه فتشنجت عضلاته للحظة بفعل لمستها. وتسألت عما إذا كان سيقف ويتوجه إلى الكوخ واضعاً مسافة بينهما. كما تساءلت عما إذا بالغت في تصرفها هذا.

لكنه سرعان ما استرخى وأغمض عينيه وتركها تلمسه. لم تتجرأ على التمادي مخافة أن يبتعد، لكنها كانت تعلم أنه يدرك بأن وقتهما معاً كاد ينقضي. ولهذا السبب فقط سمح لها بأن تفعل ذلك. حاولت أن تحفظ غيباً جمال بشرته المغطاة بالملح والرمال وملمسها تحت أصابعها، وتركيبة عضلاته. شعرت وكأنها تحسّ بتدفق الحياة النابضة فيه على سجيتها.

بدأ الظلام يحلّ على المكان وبدأت الرياح الباردة تهب عليهما فيما الأمواج تتكسر على الشاطئ وتنثر عليهما رذاذاً مالحاً، فشعرت بقشعريرة تسري في جسدها.

ومع ذلك لم يتحرك أيّ منهما.

سألته: «هل نستطيع أن نشعل ناراً الليلة، هنا على الشاطئ؟».

ساد الصمت وبدأ الصراع الداخلي. بدا وكأنه لن يجيب عن سؤالها فيما حبست هي أنفاسها.

وأخيراً قال بخشونة: «أجل، أظن أنّ بإمكاننا ذلك».

وتنفست مجدداً.

نظر رونان إلى شوشونا وقد غيرت ملابسها فارتدت قميصاً خفيفاً مخططاً ما جعلها تبدو كأحد الفارين من على متن إحدى سفن القراصنة. وعلى الرغم من ملابسها، لاحظ أنها تغيرت منذ أن ركبت الأمواج إذ راحت تتصرف بشكل مختلف، بثقة ويقين حديثين. وكان سعيداً بتخليه عن تحفظه ليكون جزءاً من الهدية التي منحها إياها ألا وهي هبة إدراك من تكون عند عودتها إلى عالمها القديم.

كان واثقاً هو ينظر إليها وإلى ذقنها والقوة في عينيها وطريقة تحرّكها كامرأة واثقة من نفسها، أنها ستحمل كل هذا معها وسترفض الزواج من رجل لا تحبه لمجرّد أن ترضي الآخرين. وتذكر لمسة يدها على ظهره، فتلك الحركة الصغيرة بدت كافية ليشعر من تكون أو من

قد تكون.

هذه الليلة، ستكون الليلة الأخيرة لهما معاً، وسيخفف من تحفّظه قليلاً.

لكن لماذا؟ طرح السؤال على نفسه.

ليحتفظ بذكرى عنها عندما ترحل وتتركه. عندما يواجه حقيقة عدم رؤية وجهها مجدداً.

سيحتفظ بذكرى هذه الليلة. هو وهي والنار المشتعلة، وضحكاتها والضوء الذي ينعكس على بشرتها، والشرارة في عينيها التي تجعل النجوم تبهت.

وتحت جنح الظلام، حملا الحطب إلى الشاطئ. وعندما تلألأت النجوم في المساء، راحا يشويان السمك ويتذكران تصرفاتهما في عمق البحر ويضحكان.

غداً سينتهي الأمر. والليلة لن يلعب دور الجندي بل سيكون رجلاً وحسب.

وهكذا، تكلّما حتى فترة متأخرة من الليل. وعندما برد الطقس، ذهب إلى الكوخ وأحضر غطاءً لف به كتفيها. وحين ازداد البرد رفعت طرف الغطاء تدعوه للانضمام إليها فاقترب وجلس إلى جانبها، وراحا يراقبان النجوم معاً ويستمعان إلى صوت الأمواج. استمع واسترق النظرات إلى وجهها الذي زاده انعكاس ألسنة النار عليه روعة وجمالاً.

كان الحديث في البداية عادياً تخللته بعض النكات التي جعلتها تضحك. وأخبرته قصصاً عن تعذيبها المربيات ومعلمات المدرسة. لكن ومع مرور الوقت ازدادت الأحاديث عمقاً كعتمة الليل. وراحت تحدّثه عن طفولة تميّزت بالدلال والرعاية والوحدة أيضاً.

وأخبرته عن الهر الصغير الذي وجدته في إحدى زياراتها النادرة إلى

السوق الشعبي. وكيف دسّته تحت ردائها وأخذته إلى المنزل. وابتسمت وهي تخبره قصة الهرّ الذي أنساها وحدتها، وكيف كانت تتحدث إليه وتنام بجانبه وكيف جعلته صديقها الحميم.

لكن الهرّ مات.

وتابعت بحزن: «لعله من السخف أن أشعر بهذا القدرمن الحزن بسبب هرّ، لكني لا أستطيع أن أخبرك كم أفتقده، وكيف بدت غرف شقتي فارغة بعد رحيله. أفتقد كل حركاته الرائعة ورغبته في الحصول على كل الاهتمام».

- ما اسمه؟

- لكن لا تضحك.

- حسناً.

- رتنة ويعني في لغتنا المحبوب.

لم يضحك فهو في الواقع لم يجد الأمر مضحكاً على الإطلاق بل وجده حزيناً ويؤكد بضع حقائق عن حياتها أرادت إطلاعه عليها منذ البداية، لكنه حزرها على أيّ حال.

- وجاء عرض الأمير ماهايل بعد فترة قصيرة جداً من موت المحبوب. شعرت بأني سأحتمل الأمر بشكل أفضل لو انغمست في تحضيرات الحدث بدلاً من الغرق في المشاعر التي انتابتني. كنت مفجوعة، وحيدة مثيرة للشفقة. امرأة لم تحب في حياتها سوى هرّ.

لكنه لم يرَ الأمر مثيراً للشفقة بل رأى أنها امرأة تتمتّع بقدرة شديدة على الحب وقد أعطت قلبها ومشاعرها كلها عندما قررت ذلك. فهل سيتمكن الرجل الذي يتلقى هذا الحب كله أن يفهم قيمة الهبة التي بين يديه، والكنز الذي حصل عليه؟

- هل ستخبرني عنك شيئاً الآن؟

كان هذا أحد تلك الأسئلة الماكرة التي تبرع النساء في طرحها.

وبعد أن شاركته شيئاً عميقاً ذا معنى، لن تقبل بأن يحدثها عن فريق كرة الطائرة المفضل لديه.

قال مراوغاً: «حسناً، لا أعرف من أين أبدأ».

فسألته: «أي نوع من الأولاد كنت؟».

إنها نقطة انطلاق منطقية، وأجابها: «ولد سيء جداً».

- سيء أم شقي؟

- سيء. كنت أضع رؤوس البطاطا في فتحات مداخن السيارات، وأكسر نوافذ الجيران، كما طردت من المدرسة بسبب عراكي مع الصبية الآخرين.

- ولكن لماذا كنت تفعل هذا كله؟.

لكن لماذا؟ لم يسبق أن طرح عليه أحد من قبل مثل هذا السؤال.

- مات أبي عندما كنت في السادسة، وأنا لا ألجأ إلى هذا كعذر لي، لكن بعض الصبية يحتاجون لآبائهم. بدت أمي غير مكترثة بأمري أو قادرة على التعامل معي وأظن أن رغبتها في السيطرة عليّ دفعتها إلى تسجيل هذا العدد من الزيجات.

قالت شوشونا بعينين متسعتين: «زيجات قلت؟ كم عددها؟».

لابد أنّ هذا يعتبر فضيحة في بلدها حيث بالكاد يسمع بالطلاق ويكفيه ما أثاره الأمر من فضائح في بلاده.

- إذا أخذنا بعين الاعتبار الزواج المقبل، فسيبلغ عددها سبع.

- لا تقل لي إنك تتحمل مسؤلية هذا أيضاً.

لطالما انتابه إحساس غامض بأنه يتحمّل مسؤولية تصرفاتها، شعور عبثي بعدم قدرته على حمايتها. في الصغر، كان يشعر بعقدة نقص تجاهها.

وسألته شوشونا: «كيف عشت سنوات صباك؟ هل كان أحد أزواجها بمثابة أب لك؟».

ولسبب ما، أخبرها ما لم يخبر به أحداً، فأسرّ لها عن مشاعر الأسى والرفض والثورة التي تملكته مع كل رجل جديد يدخل حياتها. وأخبرها عن ذلك السرّ الصغير حول شرارة الأمل التي كانت تشتعل في داخله، أمل بقدوم رجل يحل مكان والده، أمل يقضي عليه دوماً الاستخفاف واليأس.

لم يعرف لماذا أخبرها، لكنه حين فعل لم يشعر أنه أكثر ضعفاً، بل أنه خالي البال، وأكثر رضا وسعادة مما شعر به منذ سنين.

وسألته بنعومة: «كيف كان زواج أمك من أبيك؟».

غرق في الصمت، يتذكر. وأخيراً تنهد وكاد يسمع توقاً لا يرتجى في تلك التنهيدة. ظن أنها ذكريات ماتت منذ زمن، ليكتشف الآن أنها كانت خامدة وحسب.

- كنت فقط في السادسة من عمري عندما توفي، لذا لست أدري إن كانت ذكريات حقيقية أم أنها مجرد أمنيات.

- أخبرني ما تعتقد أنك تتذكر.

قال متفاجئاً من مدى نبرة الاختناق في صوته: «السعادة والضحك. إحدى الذكريات الحية في رأسي هي صورة أبي يطارد أمي وهي تركض ضاحكة، فيما وجهها يضيء فرحاً وحياة. وعندما أمسك بها راح يعانقها فحاولت أنا التسلل بينهما، وما كان منه إلاّ أن حملني وعصرني بينهما بشدة حتى كدت أختنق من كثرة الفرح».

وصمتت طويلاً، وعندما نظرت إليه، رأى آثار ما فعله بها هذا اليوم بادية على وجهها، فلاحظ نضجاً وقدرة جديدة على أن تكون هي نفسها في العالم.

انعكس ذلك في نبرة صوتها، وفي حكمة ما قالته: «بما أن أمك عاشت تلك اللحظات مع والدك، فلابد أنها لم تستطع أن تتخيل العيش من دونه. بزواجها من كل أولئك الرجال، كانت تحاول أن

تعيش من جديد وأن تؤمن لك حياة متكاملة. لم تكن تحاول فرض هؤلاء الرجال على حياتك بل بتوفير ما تفتقد له، أرادتك أن تعيش الأجواء السابقة ذاتها كما في حياة أبي. لابد أنها رأتك تتألم من أجلها بقدر ما تألمت لوفاة والدك».

بدا الأمر غريباً، لكن حين سمع تلك الكلمات شعر أنه كان يبحث عنها منذ زمن وأنه وجد ضالته المنشودة.

وتمكّن أخيراً من مسامحة والدته.

منذ أن غادر المنزل وهو يحاول يائساً حبس التوق الذي تولّده فيه الذكريات الدفينة. وحاول ملء الفراغ الذي يشعر به في داخله بالنظام والقوة والعزم والمخاطرة.

وأدرك الآن أنه كشوشونا أتى إلى الجزيرة ليكتشف ذاته.

إنه رجل يرغب في أن يحبه أحد.

ويستحق أن يحب الآخر.

رجل أدرك أن بإمكانه ملء عالمه بأسره لكنه سيظل فارغاً إذا ما نقصه المكوّن الأساسي. كانت النار لا تزال مشتعلة ترسل دفئها والغطاء يلفّهما حين غفيا تحت ضوء النجوم وعلى وقع موسيقى الأمواج المتكسرة. لم يشعر قط من قبل بمثل هذا التكامل والسكينة والسلام في داخله.

لكن غريزة الرجل المحارب جعلته يستيقظ قبل بزوغ الفجر.

وظل لبرهة مشوش الذهن، فشعرها الأشبه بالريش كان أكثر نعومة ما تصوّر، وكان يدغدغ أسفل ذقنه فيما أسندت رأسها إلى صدره لتداعب أنفاسها الدافئة بشرته.

دام ذاك الشعور لأقل من ثانية لكنه تمكّن من أن يسمع هدير طائرة مروحية آتية من البعيد، وهمهمة المراكب الآلية القادمة من عرض البحر.

www.elromancia.com

جلس فرأى المراكب وقد أصبحت في منتصف الطريق بين الجزيرة واليابسة، فيما الطائرة المروحية تجري استطلاعاً فوقهما.

إنها النيران! وأذهله مدى غبائه. إذا تمكّن من رؤية أضواء اليابسة من بعيد فكيف خاطر بإشعال النار؟.

كان كالأعمى وقد نسي القاعدة الأولى في أصول الحماية. لم ينسها تماماً بل أقنع نفسه بأنّ لا بأس في وضعها جانباً ولو لمرّة واحدة. لكنه أخطأ في ذلك وخالف القاعدة التي يعلم أنها مقدسة في عمله وهو على وشك أن يدفع الثمن. كان يعرف أن تدخل العواطف بالعمل يعرّض سلامتهما للخطر، لكنه سمح لها بالتدخل مقدماً حاجاته على ما هو صواب.

لقد تصرّف وكأنهما في إجازة منذ اللحظة التي وطآ فيها أرض الجزيرة. فبدلاً من الغطس وركوب الأمواج، كان عليه أن يمضي الوقت في إنشاء خطة دفاعية وتأمين مكان للاختباء ووضع خطة بديلة.

شعر بمدى فشله، لكن الوقت ليس مناسباً لتأنيب الذات فلعله سيمتلك متسعاً من الوقت لذلك لاحقاً.

وقع نظره على مركبهما الخاص فوجده بعيداً على الرمال بحيث لا فرصة أمامه لجرّه إلى الماء قبل وصول المراكب إليهما.

ولم ترقه فكرة وجودهما معاً هكذا في العراء، كفرخي بط شريدين.

استطاع سماع هدير محركات المراكب القادمة وأدرك أنها أقوى من المركب الذي يملكانه.

صرخ وهو يهبّ على قدميه ويضع يده على كتفها النحيل: «استيقظي».

لم يكن لديه الوقت ليقدّر جمال شعرها المشعث وعينيها المفتوحتين واسعاً وأثر الخط على خدّها الناجم عن نومها على صدره. كانت تنظر

إليه بعينين ناعستين ملؤهما ثقة يعلم أنه لا يستحقها.

سحبها لتقف على قدميها، وفهمت معنى إلحاحه على الفور وسارعت إلى داخل الكوخ. توقف لبرهة ليأخذ مسدسه وذخيرته المتواضعة وقادها إلى الغابة حيث قطع الشجرة سابقاً.

خبأها تحت كومة من أوراق نبتة ضخمة وقال لها: «لا تتحركي إلى أن أسمح لك بذلك!».

- لن تتركني هنا!.

لاحظ فجأة أنها ليست قلقة على نفسها بل عليه وهذا هو ثمن التسيّب وعدم مراعاة الحدود. ظنت أن الإصغاء إليه خيار مفتوح ولم ترغب في أن تفهم أن عمله يقتضي وضع نفسه بين الخطر وبينها.

لم تشأ أن تفهم هذه الحقيقة. وتلك كانت نقطة ضعفه على مدى الساعات القليلة الماضية لأنه هو أيضاً لم يتقبّل تلك الحقيقة.

قال لها بحدّة: «اسمعي أيتها الأميرة، لا تجبريني على قول ذلك مجدداً. لا تتحركي من هنا إلى أن أسمح لك بذلك شخصياً».

ثلاثة مراكب وطائرة مروحية! عليه أن يتوقع الأسوأ لناحية هوية من فيها وغايتهم. هذا هو عمله الذي يقتضي التعامل مع أسوأ أنواع السيناريوهات.

ثمة احتمال كبير ألا تسمع عنه شخصياً مجدداً. قد يتمكن من التفوّق على الأعداد الآتية، لكن فرصتهما الوحيدة تكمن في تعاونها وبقائها بعيدة عن الأنظار.

- حياتي كلها تعتمد على إطاعتك لأوامري.

ورأى أخيراً أنها تفهمت الأمر.

هرع إلى صف الأشجار مجدداً وراقب اقتراب المراكب أكثر فأكثر. بدأ عقله يحلل الأمور ويفكر في الخيارات لإبقائها بأمان رغم موارده المحدودة جداً.

اقتربت المراكب أكثر فأكثر، وتوقفت فجأة. لاحظ طيف الكولونيل غراي بيترسون عند مقدمة المركب الأول فخرج من بين الأشجار وتحرّك ببطء، وهو يشعر مع كل خطوة بمدى فشله. ما هي الأمور تنتهي على خير لكن ليس بسبب كفاءته بل بسبب الحظ.

سار غراي على الرمال متقدماً نحوه، وسأله: «أين الأميرة؟».

- في مكان آمن.

اختارت هي تلك اللحظة للظهور من بين الأشجار والنزول إلى الشاطئ. لابد أنها تركت المخبأ بعد ثوان قليلة على تعهّدها بالبقاء حيث هي.

- جدي!

وارتمت في أحضان رجل متقدم في السن بهي الطلعة!

وفكر رونان في عدم إطاعتها له، وفي انهيار سلطته المطلقة، كما فكره في نفسه.

نظر غراي إليها مستغرباً وقال: «قل لي أرجوك إنها ليست الأميرة!».

- أخشى أنها هي بذاتها.

لكن خيبة غراي لم تكن ناجمة عن خروجها من مخبئها السري من دون أن تتلقى الأمر.

- ماذا حدث لشعرها بحق المساء؟.

في الواقع، بالكاد تذكر رونان كيف كانت تبدو قبل أن تقصه.

- إنها بأمان فمن يكترث لما حلّ بشعرها؟.

لكن نظرة غراي قالت الحقيقة، فالناس هنا يهتمون بشعرها. وشعر رونان بأنه سعيد لأنها قصته إن كان هذا يجعلها أكثر من مجرد سلعة.

- إنها بأمان، أليس كذلك؟ لهذا السبب أنت هنا؟ لهذا لم تنتظر

مجيئي إليك؟.

- قمنا بعملية توقيف منذ ثلاثة أيام.

- من؟

كان متشوقاً لأن يعرف. إن كانت إحدى المجموعات المنظمة المتصلة بخلايا إرهابية، فلن تعرف الأمان مطلقاً، وماذا سيفعل عندئذ؟

خفض غراي صوته وقال: «لقد أوحيت لنا بالفاعل. إنها ابنة عم الأميرة شوشونا، ماريا. كانت حب ماهايل القديم. ولا بد أنك تعرف أن نار جهنم لا توازي غضب امرأة تخلى عنها حبيبها. لكن في هذه الحالة بدا الأمر أشبه بحظ عاثر».

راقب رونان شوشونا مستشعراً فرحها لوجودها مع جدّها، راضياً عن صدق حدسها. إن كانت تتمتع بمثل هذا الحدس، فضلاً عن قدرتها على التقاط قوة الأمواج والسيطرة عليه، فستكون بخير.

قال غراي: «لقد ابتعدتما كثيراً. لو استطعت العثور عليكما لأخرجتك من هنا في وقت أبكر».

أجل فعلاً! لقد ابتعد كثيراً ودخل منطقة لا يسمح له بدخولها ولا يحق له ذلك. ذهب بعيداً لدرجة أنه يشعر بالضياع إلى الآن وكأنه تائه لا يعرف طريق الخروج.

- لكن حين رأى أحد القرويين النيران ليلة أمس وذكر الأمر لجدّها أدرك على الفور أنكما ستكونان هنا».

ونظر غراي إليها عبر الشاطئ عابساً وأضاف: «لا تبدو لي الشخص نفسه يا رونان».

التزم رونان الصمت فهي الشخص نفسه لكن أصبح لديها الآن فكرة أوضح عمن تكون فعلاً. وكان يأمل ألا تخاف من إظهار تلك الحقيقة والسماح لها بالخروج إلى الضوء.

www.elromancia.com

تنبّه رونان فجأة إلى انّ غراي يتأمله وهو يصفر بصوت منخفض وقال: «هل حدث ما يجب أن أعلم به يا رونان؟».

إذاً، فالتغيرات حصلت له أيضاً وبدت على وجهه.

- لا سيدي.

ما من شيء يستوجب الكشف. سيعيش مع حقيقة أنّ الأخطاء التي ارتكبها كان يمكن أن تتسبب بموتها، ولا ينبغي لأحد أن يعلم ذلك. راقب رونان الجنود ومسؤولي القصر والحراس وهم ينزلون من المركبين قبل أن يسأل: «أين الأمير ماهايل؟».

- ولِمَ عساه يكون هنا؟.

- لو كنت أنا العريس واختفت، فسأحضر إلى هنا بكل تأكيد.

لكن وحده جدها أتى من دون أمها أو أبيها أو خطيبها. وفهم فجأة لما أحبت هرتها إلى هذا الحدّ، وأدرك أن الوحدة والفراغ دفعاها لأن ترضى بالزواج.

لكنها أصبحت تعرف نفسها بطريقة أفضل الآن، وتعرف مدى قدراتها. وكان مسروراً بما قدّمه لها.

راح غراي ينظر إليه باستغراب وهو يهز رأسه ويقول بتكلف: «اسمع، عليّ إخراجك من هنا. فالمسؤول عنك لم يدعني أرتاح وفريق اكسكاليبر متأهب للانتشار. قيل لي بشكل واضح وصريح بأنه يستحسن بك العودة ما أن تنتهي هذه العملية. سأشير للمروحية كي تنزل السلّم».

كان رونان جندياً وقد تدرب على توقّع أيّ شيء، وتوقع ما لا يتوقع.

لكنه كاد يُجنّ لعدم تمكنّه من توديعها.

اقتربت المروحية من الأرض بإشارة من غراي فراحت الرمال تتطاير بكافة الاتجاهات وأنزل السلم.

أمر نفسه بالتوقّف عن التفكير وهو يمسك بالسلم المتأرجح ليبدأ بالصعود.

ومع كل خطوة، كان يدرك أنه متوجه مجدداً إلى حياته السابقة بعيداً عن كل ما حصل له هنا.

وبعد بضع لحظات، امتدت يدان لسحبه من حيث هو.

وقد أخطأ حين نظر إلى الأسفل إذ رأى شوشونا تركض بسرعة يائسة وكأنها تحاول الامساك بالسلّم، وكأنها تحاول اللحاق به لو استطاعت.

لكن السلّم كان بعيداً عن قبضتها. هل حبس أنفاسه فعلاً متمنياً أن تتمكن من النجاح بالوصول إليه، آملاً حصول أعجوبة تحملها إلى عالمه؟ هل هو غير مستعد للرحيل؟ لكن الهوة بينهما لا يمكن اجتيازها، وقوى تتجاوز سيطرتهما تفصل بينهما.

وجمدت في مكانها، شخص صغير الحجم يقف على الشاطئ لا ينفك يصغر ويصغر مع كل ثانية. بعدئذ، ومن قلب دوّامة الغبار والرمال وضعت يدها على شفتيها وأرسلت له قبلة في الهواء. وسمع الرجل الذي ساعده في الصعود يبتلع ريقه مذهولاً بعد أن أظهرت الأميرة عواطفها بشكل غير لائق إطلاقاً لرجلٍ من العامة، لجندي آخر لا يختلف عنه. لكنه لم يعلق أيّ أهمية على عيون الطاقم المذهولة ونظراتهم الملتفتة نحوه.

جايك رونان أكثر الرجال عملانية، شعر بقبلتها تطير في الهواء وتعبر المسافات الشاسعة التي تفصل بينهما وتلامس وجنته كهمس أجنحة ملاك.

٨ - ماذا بعد؟

تأملت شوشونا غرفة نومها الجميلة بألوانها الزاهية الزرقاء والخضراء وظلالها العاجية. ضمَّ جناحها ككافة غرف القصر أفضل أنواع الحرير وأفخر السجاد وأثمن التحف.

لكن بغياب هرّة تبعث فيه الحياة، بدا المكان فارغاً كصالة عرض لا روح فيها ولا حياة.

كانت تحيط بها الألعاب والتجهيزات من جهاز موسيقى رائع، وتلفزيون بشاشة عملاقة تظهر بكبسة زر، وأحدث كومبيوتر محمول مع إمكانية استخدام شبكة الانترنت. لكن على الرغم من كافة أنواع الرفاهية وكافة الأمور التي يمكن أن تشغل نفسها بها، بدت الغرفة أشبه بسجن.

تاقت لبساطة الجزيرة وشعرت بأن الساعات الأخيرة لها مع رونان قد سلبت منها. لقد ظنت أن بإمكانهما ركوب الدراجة النارية معاً مرة أخرى، لكنهما لم يفعلا. لا بل سُلبت منها فرصة وداعه وطرح السؤال الذي شغل بالها عليه.

ماذا بعد؟

كانت الإجابة عن هذا السؤال تكمن في مكان ما في الأيام الستة من الحرية التي اختبرتها.

لا يمكنها العودة إلى حياتها السابقة ولا إلى الطريق الذي كانت تسلكه.

أين رونان يا ترى؟ كانت لا تزال مصدومة من رحيله المفاجئ، بعد تلك الليلة الأخيرة التي أمضياها معاً على الشاطئ أرادت أن تودّعه بل احتاجت لأن تودّعه.

تودعه؟ ليس هذا ما أرادته فعلاً... أرادت أن تقول له: مرحباً لا أستطيع الانتظار لأتعرف إليك أكثر، أحب ما أشعر به وأنا معك فأنت تجعلني أرى أجمل أوجه نفسي.

وسمعت طرقاً على الباب، فقفزت عن السرير وفتحت لترى إحدى الخدم ومصفف الشعر.

قالت لها الخادمة بحماس: «أتينا لتصفيف شعرك قبل لقائك الأمير ماهايل إذ سمعت أنه سيأتي بعد ظهر اليوم».

لم تتنحَّ شوشونا جانباً وتسمح لهما بالدخول بل قالت بهدوء وحزم: «أنا أحب شعري كما هو، وإن رغب الأمير ماهايل في رؤيتي فعليه أن يطلب موعداً مسبقاً ليعرف إن كان الأمر يناسبني».

بعدئذ، أغلقت الباب فيما فتحت الخادمة فمها كسمكة تبحث عن الهواء. إنها المرّة الأولى منذ عودتها إلى الغرفة التي تشعر شوشونا فيها بأنها حرّة. وقد لمست الآن معنى الكلام حين يُقال إنه بإمكانك أن تحيا في قصر كالسجين، أو تحيا في السجن حرّاً... الأمر عائد إلى ما في داخلك.

وبعد مرور نصف ساعة سمعت الباب يطرق مجدداً، ففتحت لتجد الخادمة نفسها إنما برفقة ولد صغير من الشارع.

قالت الخادمة بانزعاج: «قال إن لديه شيئاً لا يمكنه تسليمه إلاّ إليك شخصياً. وقد وافق الكولونيل بيترسون على دخوله».

سلمها الصبي السلة بخجل كما الكتاب الذي يحمله بيده الأخرى. أخذت شوشونا الكتاب وابتسمت بعد أن قرأت العنوان: الشطرنج للمبتدئين. راح قلبها يخفق بقوة وأخذت السّلة وسمعت مواءً خفيفاً

قبل أن ترفع قطعة القماش التي تغطيها.

وفي الداخل رأت هرة برتقالية تنظر إليها بعينين خضراوين مستديرتين فشعرت بالدموع تملأ عينيها. علمت أن رونان رحل وأنه بعث لها برسالة.

هل يعلم معنى هذه الرسالة بالنسبة إليها؟ لم تكن تقول «تعلمي لعب الشطرنج» أو «إليك هرة صغيرة تخفف من وحدتك»، بل عنت أنه رأى القوة الكامنة واللامتناهية في داخلها.

كانت الرسالة تعني «المحبوبة» بالنسبة لها وتقول إنه رآها وسمعها كما لم يرها أو يسمعها أحد من قبل في حياتها.

لكنها أدركت بعدئذ أن الهدية هي هدية وداع وتعني أنه لن يبعث لها برسائل بنفسه. هل تخلى عن تحفظه في اليوم الأخير لهما معاً ظناً منه أنه لن يراها مجدداً؟

ألن تراه مجدداً؟ كانت الفكرة بحدّ ذاتها سجناً أضيق من هذه الغرفة. كانت حكماً مؤبداً.

أرادت أن تصفق الباب وتبكي لكنها لن تردّ جميل بقائها مع رونان لأسبوع بهذه الطريقة. لقد تعلّمت أن تكون قوية وليس لديها النية في أن تكون ضحية حياتها الخاصة! لقد قررت من ذلك اليوم فصاعداً أن تكون سيّدة قدرها، وأن تتولى زمام الأمور، وتسعى وراء ما تريد.

قالت بتمعّن: «أخبري الأمير ماهايل أني سأراه بعد الظهر».

أدركت أن عليها إغلاق الباب على أحد فصول حياتها قبل فتح آخر. ولم يكن عليها استشارة والدها أو والدتها بشأن ما ستقوله لماهايل.

كان ينتظرها في غرفة رسمها الخاصة وظهره إلى الباب. عندما دخلت الغرفة، توقفت للحظة وتأملته. إنه رجل تافه لكنه وسيم

وأنيق.

رأت فيه الصبي الذي قال لها منذ بضع سنوات فيما كان يتعلّم ركوب الخيل في مزرعة العائلة: «لا يسمح للفتيات بذلك».

استدار وابتسم لها مرحّباً بقدومها، لكن ابتسامته سرعان ما غابت عندما رأى شعرها. وقد تعمدت ارتداء سترة بأكمام قصيرة لتسمح له برؤية الحروق على جلدها المقشر.

استعاد رباطة جأشه بسرعة واقترب منها وانحنى قبل أن يرفع يديها ويقبلّهما.

قال بصوتٍ حزين وكأنها نجت من إعصار: «أرى أن المغامرة قد أساءت إليك كثيراً».

فأجابت: «أبداً. لم أعش أوقاتاً أفضل».

لم يفهم طبعاً أن ما شعرت به أهم بكثير مما تبدو عليه.

قال: «فهمت أنك كنت وحيدة بصحبة رجل. قد يرى الآخرون في ذلك وصمة على سمعتك، لكني بالطبع لا أفعل. فقد علمت أن الرجل ذو أخلاق حميدة».

علمت أنه يجدر بها أن تشعر بالمهانة لأن أخلاق الرجل حميدة، لكنها لم تفعل فرونان هو من مارس سيطرة قصوى على نفسه وليس هي.

فقالت: «يا لكرم أخلاقك! ذاك الرجل أنقذني من وضع كنت أنت السبب وراء حدوثه. ولكن لمَ عسانا نناقش الأمر الآن؟».

سأل الأمير مذهولاً: «كنت أنَا السبب وراء حدوثه؟».

- كنت ظالماً وأنانياً مع ماريا. لم تكن تستحق ذلك فانتقمت مني. أنا لا أبرّر فعلتها لكني أقول إني أتفهم دوافعها.

بدأ الانزعاج يظهر على الأمير غير المعتاد على أن يقول له أحد ما يدور في رأسه بصراحة فكيف بامرأة. أي نوع من السجن سيكون

www.elromancia.com

ذلك؟

لِمَ لا تستطيع أن تكون صادقة مع الرجل الذي ستشاركه أكثر الأمور حميمية في العالم؟

- وذاك الرجل الذي يظن الآخرون أنه ألحق وصمة عار بسمعتي، كرس نفسه لحمايتي. وكان مستعداً لأن يقدّم سلامتي على سلامته الشخصية، ويرفض كل الطروحات إذا ما شعر أنها لا تصب في مصلحتي.

- يا له من شخص نبيل!

كان الأمير يراقبها بحذر إذ لا يفترض بها ان تعبر عن رأيها بصراحة، بل أن تكتفي بتصفيف شعرها وأن ترمقه بنظرات مغرية.

وافقته القول: «أجل، إنه نبيل».

فرونان أميرها أكثر من هذا الأمير الذي يقف قبالتها بملابسه الحريرية وجواهره المتلألئة ورائحة عطره الفاخر التي تملأ الغرفة.

لكن ماذا سيقول إن أخبرته أنها تفضل رائحة عرق رونان على عطره؟

ابتسمت للفكرة، فأساء ماهايل فهم معنى الابتسامة وظنها تدل على تحوّل في مزاجها، وتشكلّ دعوة خجولة له لمتابعة الحديث.

فسألها بشكل رسمي: «إذاً هل تشعرين أنك بخير بما يكفي لإعادة تحديد موعد الزواج».

هكذا إذاً! بالرغم من شعرها المشعث وجلدها المقشر وصراحتها المستجدة لم يكن ينوي إلغاء الزواج. وشعرت فجأة بالسرور لأن هذا يترك لها الخيار، وبدلاً من أن يكون زمام الأمور في يده وضعها في مركز قوة يجدر بها الاستفادة منه.

عليها أن تختار الآن.

قالت بحزم من دون خوف أو شك أو تردد: «قررّت ألا أتزوج».

بما هو الطائر يحلّق بجناحيه بحرية.

سألها الأمير ماهايل بذهول حقيقي: «عفواً، ماذا قلت؟».

- لا أريد الزواج فثمة أمور كثيرة أود القيام بها أولاً. وحين أقرر الزواج، سأتزوج من رجل أحبه. لا أريد زواج مصلحة. إني آسفة.

حدق فيها مصعوقاً: «وهل استشرت والدك في هذا الأمر؟».

من بين كل الأمور التي تثير الجنون، احتل قوله هذا المرتبة الأولى!

فأجابت بجرأة خطرة: «إنه خياري وليس خياره».

نظر إليها الأمير ماهايل محتاراً، منزعجاً قبل أن يقول أخيراً: «أظن أن هذا أفضل للجميع، ففي النهاية لعلي أرغب بالزواج من ماريا أكثر منك».

فتمتمت شوشونا وهو يغادر الغرفة: «أظن ذلك».

في اليوم التالي، حين التقت والدها، شعرت باضطراب قوي وأدركت أن ساقيها ترتجفان تحت تنورتها الطويلة.

لطالما كانت لقاءاتها بوالدها متكلفة ورسمية وكأن أولاده مجرد أغراض وليسوا أشخاصاً من دمه.

قال لها من دون مقدمات: «علمت أنك أخبرت الأمير ماهايل أنك لا تريدين الزواج».

- أجل، أبي.

سألها وقد رفع حاجبه: «ومن دون أن تستشيريني؟».

أخذت شوشونا نفساً عميقاً وأظهرت شخصيتها الحقيقية. فهي ليست الفتاة التي يريدها أن تكون، تلك الفتاة الوديعة، السهلة الانقياد، المطيعة، بل تلك التي ترغب في التعلم وخوض المغامرات والشعور بالحب.

www.elromancia.com

وأنهت كلامها بشجاعة قائلة: «وكما ترى، لا أستطيع الزواج بماهايل. إني مستعدة للذهاب إلى السجن أولاً».

التوت شفتا والدها قبل أن ينفجر ضاحكاً ويقول: «اقتربي».

وما ان اقتربت منه حتى وقف وعانقها قائلاً: «أريد لك كل ما يحبه الأب لابنته، السعادة. يظن الآباء أنهم يعرفون ما هو الأفضل لأولادهم لكن لطالما كنت فتاة قوية وشجاعة بما يكفي على ما أظن لتجدي طريقك. هل تريدين متابعة دراستك؟».

- أجل، أبي!.

- إذاً سأتدبر الأمر وأبارك هذه الخطوة.

وعندما استدارت لتذهب، ناداها فرجعت.

قال لها: «يا ابنتي، ليس لدينا أي سجن. ولو كان لدينا، أظن أن أمك كانت لتسجنك فيه منذ زمن طويل. سأشرح لها التطورات الأخيرة».

- شكراً لك.

إنه لأمر مضحك فقد سعت طيلة حياتها لكسب حب والدها ورضاه ولم تحصل عليه في النهاية بمحاولة إرضائه بل عندما تحلّت بما يكفي من الشجاعة لإرضاء نفسها، عندما تحلت بالشجاعة الكافية لتكون على حقيقتها.

أرادت مشاركة رونان تلك الأخبار فسألت الكولونيل بيترسون أين عساها تجده. نظر إليها بتمعن قائلاً: «تم إرساله في مهمّة، وحتى لو كنت أعرف مكانه، فلن أتمكن من إخبارك».

عندئذ أدركت أن هذه هي الحقيقة التي حاول رونان إخبارها بها.

كما أدركت حقيقة أخرى وهي أنها إذا أرادت أن تكون مع رجل مثل رونان، فيجب ان تتمتع بنظام حياة مكتمل وتام ومنفصل تماماً عن حياته. وإن كان رونان سيشكل جزءاً من حياتها، فعليها أن تأتي

إليه مكتملة، قادرة على الاستمرار بحياتها حين يناديه واجبه بعيداً عنها.

قدّمت طلباً للعودة إلى المدرسة وتم قبولها. في غضون شهرين ستعيش حلماً آخر، ستدرس في بريطانيا.

لكن ماذا ستفعل حتى ذلك الحين؟

ستتعلم ركوب الأمواج! ما من مكان في عالم رونان لامرأة متطلبة وشديدة التعلق بالأشخاص. كانت بحاجة لأن تذهب إليه كامرأة واثقة، قادرة على رسم خطوط حياتها بنفسها. عندئذ ستكون قادرة على أن تعيش حياتها معه.

* * *

تعالى صوت جهاز إنذار وراح الرجال يندفعون من أبواب المستودع المهجور، بلباسهم الأسود ووجوههم المغطاة، ومسدساتهم المحشوة الجاهزة. كان رونان برفقة شوشونا وجسده بينها وبين المعتدي، لكنه شعر بأحاسيس لا يرغب أي جندي في أن تنتابه إذ أحس باليأس والعجز من تفوق الآخرين عليه عدداً. لم يتمكن من حمايتها لأنه وحيد. استيقظ رونان مبللاً بالعرق ممتناً لأن الأمر ليس حقيقة بل حلم ما انفك يراوده رغم مرور ستة أشهر. كان عاجزاً عن تخطي شعوره بالفشل.

أدرك ببطء أن الصوت الذي أيقظه من الحلم هو رنين هاتفه. في المرّة المقبلة التي يشتري فيها هاتفاً سيتأكد من سماع رنّاته أولاً فهذا الهاتف أشبه بجهاز إنذار يعلن عن عملية سطو على متحف اللوفر. نهض مستنداً إلى أحد مرفقيه ونظر إلى رقم المتصل.

قال: «مرحباً. أمي».

- هل أنت نائم؟ نحن في منتصف النهار.

- عدت للتو من مهمة وأشعر بأني منهك.

منذ ستة أشهر لم يكن يتخيل أنه يخبرها بهذه التفاصيل طوعاً لكنها ما انفكّت تطرح عليه الأسئلة عن عمله، وتحثه على تركه والبحث عن مهنة أكثر أماناً.

من المثير للاهتمام أن رونان لم يعد يستمتع بالنداءات الطارئة كما كان يفعل يوماً: لم تعد الأمور كما كانت عليه منذ عاد من براناشا إذ بات يشعر بشيء أكثر رقة ونعومة وأكثر واقعية حتماً.

لم يكن الشعور بالخطر سوى تعويض، حل مؤقت لمشكلة مزمنة، مشكلة الوحدة والاشتياق.

سألوه إن كان يرغب بمنصب مدرب في فريق اكسكاليبر، ولعل هذا يعني أنه بدأ يتقدم بالسن لكن الفكرة أعجبته.

لم تطرح عليه أمه أي سؤال عن المهمة، وكان ذلك أفضل. ومع أنها تعيش الآن حياتها وتتقبل نمط حياته، إلاّ أنه شعر أن الثقة بينهما ستزداد إذا أخبرها أنه كان خارج البلاد في بلد شهد انقلاباً عسكرياً فتولى فريقه مهمة انقاذ رئيس الوزراء المحتجز.

لكنه عدل عن رأيه عندما سمع نبرة الفرح في صوتها.

الأخبار العظيمة التي حاولت إطلاعه عليها أثناء قيامه بمهمته في براناشا لا تتعلق بزواج آخر بل بفكرة أخرى مختلفة كلياً.

أرادت أن تعرف ما إذا كان يرغب في الاستثمار في شركتها الجديدة. لكن هذا لم يكن هدف سؤالها، وقد بات أكثر حساسية وتفهماً لما تهدف إليه من وراء السؤال بعد تمضية ذاك الأسبوع برفقة شوشونا. ما تطلبه فعلياً هو الاستثمار في علاقتهما، كانت تطلب منه بخوف وألم وشجاعة أن يثق بها مجدداً لمرّة واحدة وأخيرة، وترجوه أن يفعل ذلك بالرغم من كل ما جرى.

أليس هذا ما يفعله الحب؟ يدفع المرء إلى الوثوق بالآخر؟ ويدفعه للتمسك بإيمانه بالآخر في وجه كل من يحاول أن يزعزع إيمانه؟

في الواقع، كان لديه مبلغ في حسابه. واستئجار هذه الشقة هو أول عمل يجعله ينفق نسبة كبيرة من ذاك المبلغ، فنمط حياته لم يترك له سوى القليل من الوقت والميل لانفاق المال.

فلِمَ لا يوظفه إذاً؟ أرادت أمه أن تفتتح معرضاً متخصصاً بحفلات الزفاف وتنظيم الأعراس، فمن يملك خبرة أكثر منها في هذا المجال؟رغم أنه لم يكن متأكداً من نجاحها إلاّ أنه استثمر فعلاً. وعندما أخبرته أنها اختارت اسماً للمعرض توقع الأسوأ!

قالت: «سأدعوه الأميرة التي تكتب بحروف صغيرة. والحالة التي ستكتب بأحرف كبيرة».

وفهمت من صمته الفظيع رأيه فقالت: «لم تحب الاسم؟».

لم يعبر عن حقيقة شعوره بل قال: «أظن أني لم أفهمه».

- أجل، لن تفهمه. لكن ثق بي يا رونان فحلم كل امرأة هو أن تكون أميرة ولو ليوم واحد لاسيّما في ذلك اليوم.

وتفاجأ رونان لاحقاً لنجاح أمه الساحق. ففي غضون أشهر قليلة، تم اختيار المعرض من بين المؤسسات العشر الأولى في البلاد. وتمّ التفاوض مع أمه للترويج لسلع عدة وراحت تنظم حفلات الزفاف حول العالم.

أخبرته أمه بأنفاس مقطوعة: «اتصلت بي للتو كاي هاردن، فهي وهنري هوبكنز سيتزوجان من جديد».

أجابها رونان: «جيد».

- هل تعرف من يكونان؟.

- كلا سيدتي.

- لا تقل سيدتي! يا لك من خائب، إنهما نجمان سينمائيان.

لم يكن يكترث، فقد قام بحماية ما يكفي من الأشخاص المهمين ليعرف الحقيقة. شخص واحد على وجه التحديد جعله يدرك تلك

الحقيقة. فالناس كلهم متشابهون من الداخل حتى الجنود.

قالت أمه: «ستكون أرباح هذه السنة طائلة».

إنّ الحياة مليئة بالمصادفات المضحكة، فجايك رونان الرجل الذي يكره حفلات الزفاف أكثر من أي شيء آخر، راح يجني الأرباح من خلالها. لقد قال لأمه إنه سيُسرّ لمجرّد استعادة المبلغ الأساسي الذي استثمره في المشروع، لكنها لم تقبل وسلّمته أرباحه فهو شريك بالكامل في معرض الأميرة الحالمة ولو بشكل صامت. وعندما رأى مدى سعادتها للمرّة الأولى منذ موت والده، أعجبه ذلك كثيراً.

قال: «إني فخور بك أمي. أرجوك لا تبكي».

لكنها بكت وتحدثت عن سير الأعمال فأصغى إليها وهو ينظر في أرجاء شقته الصغيرة. هذه إحدى التغييرات التي أدخلها على حياته منذ عاد من براناشا. فبعد شهر من عودته إلى العمل قرر أن يتخلى عن حياة الثكنة وأن يحصل على منزل خاص به إذ لم تعد عشرة رفاقه مريحة كما كانت يوماً.

فبعد عودته من براناشا شعر برغبة عارمة في أن يبقى وحيداً، وأن يخلق مساحته الخاصة، وحياة منفصلة عن حياته المهنية.

لكنه لم ينجح تماماً فرغم محاولاته لجعلها تبدو كبيت له إلاّ أنها لم تكن كذلك.

ومهما حاول ألا يفكر فيها أو بالأسبوع الذي أمضاه برفقتها على الجزيرة لم يتمكن من ذلك يوماً. لقد تغيّر. وكان وحيداً وهو يتألم لذلك.

ولم تكن الشقة سوى دلالة على حاجته للمزيد، على رغبته في الحصول على حياة أخرى غير حياته العملية.

والأموال المكدسة في حسابه في المصرف بفضل شراكته مع أمه دلالة على حاجته لأمر آخر غير المال.

لقد عاود الاتصال بغراي بيترسون بعد بضعة أيام من رحيله عن براناشا. كان في قرية صغيرة لا تظهر على الخارطة، في بلد تحرقها الحرب الأهلية. حاول أن يجعل صوته يبدو طبيعياً بعد أن تمادى واتصل للسؤال عن صحة الأميرة وأحوالها.

واكتشف الأمر الوحيد الذي أراد معرفته. زواج الأمير ماهايل من الأميرة شوشونا ألغي. أراد رونان أن يسأل عن التفاصيل وأن يعرف سبب الإلغاء، ومن اتخذ هذا القرار لكنه لم يفعل، فقد أدرك أن الاتصال في حد ذاته غير لائق، وأنه مجرّد جندي يسأل عن أميرة لا يمكن قبولها في أي مكان يتواجد هو فيه.

سمع رونان طرقاً على الباب، فنهض من السرير وقال لأمّه: «أمي عليّ الذهاب. أحدهم على الباب».

هل يحلم؟ رأى طفلاً يرتدي ملابس درّاج ويقف عند عتبة منزله، وقد أخفى ملامحه الجلد الأسود والخوذة والنظارة السوداء.

ورُفعت النظارة فرأى عينين زرقاوين بلون مياه الخليج.

فاتسعت عيناه دهشة.

بعدئذ، رفعت الخوذة وكافحت لفك الرباط.

اضطر لأن يدسّ يديه في جيبه حتى يمتنع عن المساعدة، لكنها تمكنت أخيراً من رفعها تماماً عن رأسها.

ونظر إلى شعرها. بدا أسوأ مما كان عليه وهما على الجزيرة بعد أن أصبح طويلاً وأملس بفعل الخوذة.

سألها بخشونة: «ماذا تفعلين هنا؟».

وكأن قلبه لا يكاد يخرج من صدره، وكأنه لا يودّ حملها بين ذراعيه والدوران بها حتى تكاد تنفجر من الضحك، وكأنه لم يكن أكثر من مشتاق لها، وكأنها لا تملأ كيانه بطاقة رهيبة، وكأن فراقها لم يخلّف فيه إحساساً عميقاً بالفراغ لا يمكن لأي شيء أن يملأه.

هنا يكمن خوفه الأكبر، فمع كل لحظة كرّسها لمساعدتها على إيجاد نقاط قوتها كان هو يخسر بعضاً من قوته الخاصة.

قالت وهي تنفض شعرها: «ماذا أفعل هنا؟».

وأضافت بعد لحظة صمت: «لم لا تجرّب ان تقول شوشونا، يا لها من مفاجأة رائعة! أنا مسرورة جداً برؤيتك».

لاحظ على الفور أن شخصيتها تبلورت بشكل لم يكن ليتصوّره وأنها مفعمة بثقة المرأة المتيقنة من نفسها ومن ذكائها وجاذبيتها وقوتها.

- التحقت بإحدى الجامعات الآن.

هكذا إذن! لعل شبان الجامعة المتقفين يتهافتون عليها. حاول ألا يدع شرارة الغيرة تظهر في عينيه وعمد إلى إبقاء نبرة صوته عادية: «جيّد! أنا سعيد لأجلك».

حدقت فيه وكأنها تريد أن تدوس على قدمه أو تصفعه. لكن عينيها المشتعلتين حرارة استقرتا على عينيه فعلم أن لا الصفع على الخد أو الدوس على القدمين هو ما تفكر فيه.

أعلنت بصوت ناعم عميق: «لم أتزوج».

- أعلم ذلك.

ما من داعٍ لإخبارها بأنه احتفل لسماع الخبر بأفضل طريقة ممكنة، متمنياً لو أن أحدهم يشاركه فرحته. وشعر بالذنب لتشتت أفكاره، وتساءل عما إذا كان يشبه أمه. هل كل العلاقات تعني الاستسلام؟ ألم يكن هذا ما يخشاه في الحب؟

- لقد واعدت الكثير من الشبان.

- حقاً.

أتى ردّه مجرد جملة عادية وليس سؤالاً. وحاول ألا يشعر بالانزعاج لأنها تملك تأثيراً قوياً عليه! فعند رؤيتها بعد كل تلك المدّة كان كلّ ما رغب فيه هو معانقتها وضمها إليه بقوة، ليسمع منها أنها

واعدت شباناً.

- ظننت أن عليّ ذلك. أعني أن أخرج مع بعضهم.

- وقد مررت بي لتخبريني بذلك؟

وثنى ذراعيه بقوة على صدره، لكن شيئاً ما التمع في عينيها، فانتابه شعور بأن وضعية الدفاع التي اتخذها لم تخدعها البتة. لقد علمت أنها حطمت أنظمته الدفاعية واخترقتها منذ زمن طويل.

- ولأخبرك كذلك أنهم مملّون.

- آسف لسماع ذلك.

- وكالأطفال.

قال لها: «الذكور مخلوقات بطيئة النضج».

هل وقعت في حب أحدهم؟ لقد فعلت بالطبع، فالحب أصبح عصرياً جداً هذه الأيام.

وهل عانقتهم؟ واستعاد ذكرى عناقها الرقيق فساورته مشاعر التملك ورغبة في الدفاع عنها في آن معاً.

قالت له ولمعان عينيها يزداد حدة: «لكني لم أعانق أحداً منهم».

لماذا يبدو له أنها تجده شفافاً جداً بحيث يمكنها أن ترى من خلاله؟

لطالما أصرّت على رؤيته على حقيقته وليس كما يريدها أن تراه. أراد ان يخبرها أن الأمر لا يعنيه، لكنه علم أنها ترى أبعد من ذلك، لذا أبقى فمه مطبقاً.

- تعلّمت ركوب الأمواج الصيف الماضي، ويمكنني ركوب دراجة نارية وحدي الآن.

- أرى ذلك بوضوح.

سألته برقة: «رونان، هل أنت سعيد برؤيتي؟».

أغمض عينيه ليسيطر على نفسه ثم فتحهما مجدداً: «لِمَ أنت هنا شوشونا؟».

www.elromancia.com

لم يقل أميرة، ولم يعاملها بتكلّف ما أسعدها.

- أريد أن ألعب معك الشطرنج.

لم يبتعد عن الباب وحاول ألا ينظر إلى عينيها، فلعب الشطرنج هو آخر ما كان عقله الذكوري المسكين يفكر فيه. وسألها بصوت محرج: «لماذا؟».

فأجابته بنعومة: «إذا ربحت ستضطر للخروج معي».

كان يمكن أن يتسبب بمقتلها على الجزيرة. من الواضح أنها لم تدرك ذلك أو لا تهتم، لكنه لم يكن متأكداً من أنه يستطيع أن يسامح نفسه أو يثق بنفسه مجدداً.

قال لها: «لا يمكنني الخروج معك».

- لماذا؟ لست مسؤولاً عن حمايتي الآن.

لو كان كذلك، لما سمح لها حتماً بأن تركب الدراجة النارية وحدها. لكنه اكتفى بالقول: «امر جيد، لأني لم أفلح بحمايتك أصلاً؟».

- وماذا يعني ذلك؟.

- ألم تفكري يوماً بما كان ليحدث لو أنّ تلك المراكب التي أتت إلى الجزيرة لم تحمل على متنها الكولونيل بيترسون وجدك؟ ألم تفكري في ما كان ليحصل لو لم يتبيّن أن ابنة عمّك هي المذنبة وكان من يهدّد حياتك خلية إرهابية؟.

ها قد اعترف بالأمر وبصوت عالٍ فشعر وكأنه كان ينتظر منذ شهور للإدلاء بهذا الاعتراف. لمَ يسهل عليه دوماً أن يريها حقيقته كما هي؟

حقيقة انه رجل عادي سريع التأثر أخفى نفسه خلف درع محارب.

قالت وهي تنظر إليه بتمعن: «كلا، لا أعرف ما كان ليحصل. هل تعرف أنت؟».

- أفكر بكافة الاحتمالات طيلة الوقت. لم أقم بعملي كما يجب يا شوشونا. كنت محظوظاً وحسب.

قالت له بصوت متهكم: «الصبية في المدرسة يستعملون مثل هذا التعبير».

- هلاّ كففت عن المزاح؟ أحاول أن أخبرك أمراً مهماً. لا يمكنك الوثوق بي. لم أتمكن يوماً من حماية الأشخاص الذين أحب.

لم تغب تلك النظرة عن وجهها، إذ بدت وكأنها تقول له إنه رائع. لذا، سارع يكمل حديثه، راغباً في ان يقنعها، آسفاً لخروج كلمة حب من فمه بطريقة ما: «لدي ذاك الإحساس الغريب الذي ينبئني بحدوث خطب ما، الذي يملي عليّ ماذا أفعل، غريزة تنبئني بوجود خطر ما».

- وماذا تقول لك الآن؟.

- إن... إنها تتعطّل عندما تكونين معي.

لامست ذراعه ونظرت إليه بعينين تعكسان تقبّلها له كما هو ما جعله يجمد: «أتعلم لماذا تتعطل عندما أكون معك؟ لأن لا وجود لأي خطأ. لم يكن هناك أي أخطاء على الجزيرة. كنت تماماً حيث تحتاج أن تكون، تفعل تماماً ما تحتاج ان تفعل. وكذلك الحال بالنسبة لي أنا».

- لقد نسيت لما كنت هناك يا شوشونا، وهذا ما يثير جنوني. لم أقم بعملي بشكل جيد، لم اقم بعملي كما يجب.

- لكن يبدو أنك ما زلت على قيد الحياة وأتنفس.

فقال بعناد: «والفضل في ذلك لا يعود لي أنا».

نظرت إليه بصبر لا حدود له، وقالت: «رونان، ثمة أمور أكبر منك دوماً. بعض الأمور التي يجب أن تستسلم لها».

- هذا هو الجزء الذي لا تفهمينه. فالاستسلام كلمة لا وجود لها في قاموس اي جندي!.

تنهّدت وكأنها تقول له إنه عنيد وطفولي تماماً كالشبان الذين واعدتهم ثم قالت: «شكراً على الهرّ. بالمناسبة لقد تمكنت من جلبه معي. إنه مشاكس جداً. أسميته أمل».

لم يكن قد انتهى من مناقشة فشله في حمايتها لكنه قال بتردد: «يبدو كاسم فتاة».

كان الاسم يعبر فعلاً عن حقيقة الأمور، عن حقيقته فهو لم يقاتل من أجلها، بل كان يأمل. تاق للحياة التي رآها في عينيها، حياة قائمة على التواصل والمشاركة والضحك والحب.

- أتعلم بما أفكر يا رونان؟.

- ستخبرينني سواء أردت معرفة ذلك أم لا.

- تماماً كما أحتاج أنا لشخص يراني على حقيقتي، شخص لا أضطر أمامه إلى وضع قناع الأميرة، تحتاج أنت لشخص يراك من دون درع، تحتاج لشخص يعرف أن في داخلك مكاناً لغير القوة والحزم. تحتاج لمن يرى فيك ما هو أبعد من المحارب.

- كلا، لا أحتاج لذلك.

عندئذ، قالت بنبرة عادية وكأنها لم تسلخ عن وجهه القناع وتتركه يشعر بالارتعاش والتأثر وهو على حافة الاستسلام لأعتى قوة في العالم: «والآن، دعنا نلعب الشطرنج. لقد أطلعتك على الشروط، إن ربحت تدعوني للخروج».

وسألها: «وإن ربحت أنا؟».

ابتسمت له، فرأى مدى اكتمال شخصيتها، ومدى ثقتها بنفسها وقالت له بنعومة، وبابتسامة تذيب قلبه: «رونان، لِمَ بحق السماء تريد أن تربح؟».

٩ - قلبي وجد موطنه

قال لها وهو واثق من أنه خسر أصلاً: «لا أستطيع أن أصدق أنك قد ترضين بأقل من براعتي التامة في اللعب!».

حدّقت فيه وقالت: «هذا صحيح. إذاً، ماذا لو ربحت أنت؟».

- لم أوافق بعد على اللعب!.

- حسناً، ألم نعالج هذه النقطة من قبل؟ عليك أولاً أن تقرر السماح لي بالدخول.

لقد عالجا هذه النقطة من قبل. رفض على الجزيرة أن يلعب معها الشطرنج وجعلها تبكي. لكنه حينئذ كان يقوم بعمله وحسب. وفي النهاية لم يمنعه ذاك الحاجز من الاهتمام لأمرها.

أين كانت الأمور لتصل لولا وجود تلك الحواجز؟

كلمة واحدة خطرت له. واستغرب أنها النعيم وليس الاستسلام. تراجع عن الباب وفي قلبه إحساس يسمح لها بدخوله. لقد انهارت قواه أمامها، وهكذا كان الحال منذ البداية. دخلت الأميرة شوشونا شقته المتواضعة وخلعت سترتها السوداء ورمتها على الأريكة وكأنها في منزلها. كانت بلوزتها البيضاء الحريرية وسروالها الجلدي الأسود مثيرين بقدر ثوب السباحة ذاك الذي كاد يفقده صوابه. وتضاعف شعوره بالعجز أمامها.

تأملت المكان باهتمام فيما دس زوجاً من الجوارب تحت الكنبة بقدمه. نظرت إليه وقالت: «أريد العيش في مكان ظريف كهذا يوماً».

www.elromancia.com

ادّعت أمه أن كل فتاة في العالم تريد أن تكون أميرة يوماً ما لكنه صادف أميرة ترغب في أن تكون مجرد فتاة عادية.

أخرج علبة الشطرنج من الخزانة ووضعها على طاولة صغيرة.

سألته: «لِمَ لم تتصل بي؟».

وأخذت قطعة بيضاء وأخرى سوداء ووضعت كل واحدة منهما في كف.

واختار فكان له اللون الأسود.

اعترض قائلاً: «أتصل بك؟ يصادف أنك أميرة وأن اسمك ليس مدرجاً في دليل أرقام الهواتف».

- كنت لتجد وسيلة للاتصال بي لو أردت.

- أجل.

- إذن، لم تشأ ذلك؟.

ظل صامتاً، يراقب حركتها الأولى التي ردّ عليها بحركة دفاعية.

- لم أستطع ذلك. ما زلت أحلم بما كان ليحصل على الجزيرة. لقد خذلتك، غطست وركبت الأمواج في حين كان يجب أن أضع خطة دفاعية.

- عشت حياتي كلها تحت الحماية المشددة وأنت لم تخذلني بل منحتني كل ما أردته بما يتخطى الأمان. أيقظتني من سباتي ونبهتني إلى الحياة وإلى من أكون. منحتني هبة يا رونان. ومع أنك لا تعطيها هذه التسمية إلاّ أنها كانت هدية.

وانتظر.

- كنت بحاجة لأن أختار وقد اخترت.

- اخترت لعب الشطرنج مع جندي؟.

أجابت بهدوء: «لا يا رونان، فالأمر لم يكن له علاقة يوماً بالشطرنج».

- هذا ما أراه.

كان يستسلم لها، تماماً كما فعل على الجزيرة مع أنه لم يشأ ذلك، لم يرغب فيه. إنها النعيم! تفتح هذه الاكتشاف في قلبه كشراع نفخت فيه الريح وحملته على التقدم لاكتشاف أراض جديدة.

تغلبت عليه بجدارة في لعب الشطرنج، ولعل عطرها شتت أفكاره قليلاً، كما لعب وجودها معه في الغرفة ذاتها وصوتها وبريق عينيها والطريقة التي تمرر بها يدها في شعرها الكارثي المظهر دوراً.

- أتعلم لما واعدت كل أولئك الشباب؟.

هز رأسه نفياً.

- لم أشأ أن أترك لك عذراً واحداً بحيث لا تقول لي: «أنت تظنين فقط أنك مغرمة بي لأنك لم تتعرفي إلى رجال آخرين».

- الحب؟.

تنهدت: «رونان، أوضحت لك أن الأمر لا يتعلق بالشطرنج».

هذا صحيح، لقد فعلت.

سألها: «إذاً، ما الذي ترغبين فيه عندما نخرج؟».

ما الذي قد ترغب فيه الأميرة؟ الذهاب إلى الأوبرا؟هل عليه شراء الملابس لها؟

فأجابت: «أريد أن أذهب إلى مقهى يقدم السمك والبطاطا المقلية ومن ثم حضور فيلم سينمائي، تماماً كأي فتاة عادية».

كانت أمه مخطئة تماماً فلا ترغب كل الفتيات في أن يكنّ أميرات. ومع ذلك عندما نظر إليها وابتسم، كان يعلم أن لا أمل في أن تكون فتاة عادية حتى.

وفجأة، لمعت الفكرة في رأسه... إنها حقيقة إنسانية خالصة، حقيقة تبعث على التواضع والاطمئنان في آن معاً.

الحب أقوى منه.

نهض عن كرسيه واقترب من كرسيها وشدّها فارتمت شوشونا بين ذراعيه بتلقائية ولهفة.

همس لها من بين خصلات شعرها: «أعتقد أنّ الأوان آن كي تبدئي بمناداتي جايك».

وبعد ثلاث ليالٍ، حضر في الموعد المحدد. شعر وكأنه مراهق يستعد للخروج فارتدى جينز وسترة عادية.

ومع وصوله إلى منزلها، لاحظ أن قلبه يخفق بسرعة وراحتي يديه متعرقتان وهذا غريب بالنسبة إلى رجل نفذ أخطر المهام في العالم ببرودة أعصاب مطلقة.

كانت تعيش في مجمّع من البيوت التي بدت له عادية إلى أن وصل إلى الباب الأمامي ورنّ الجرس وسُمح له بالدخول.

رأى الكثير من الفتيات، القصيرات والطويلات والنحيلات والبدينات. بعضهن يستعد للسهرة والبعض الآخر في ملابس النوم وعندما وقف في المدخل، بدا له أن كل واحدة منهن من دون استثناء توقفت لترمقه بنظرة، بل بنظرات متفحصة وصرخت إحداهن تقول: «إيها الوسيم، عمن تبحث هنا؟».

آخر مرة احمرّت فيها وجنتاه هي عندما قبّلته شوشونا في ذلك المتجر الصغير في براناشا ووصفته بالفارس. كانت مصمّمة على أن تعرّضه لكافة المواقف المحرجة! على الأقل بات يعلم الآن أن القليل من الاحمرار لن يقتله: «أنا هنا من أجل شوشونا».

وعلت الصيحات والتنهيدات وتعليقات: «يا لها من فتاة محظوظة». ووجد أن وجنتيه تزدادان احمراراً.

لكن حين رآها تنزل السلالم وتطير نحوه، تبخرت كل الأفكار التي تدور في رأسه عن نفسه، وكل انزعاج ناجم عن وجوده، هو الرجل المعتاد جداً على عالم الرجال، محاطاً بالنساء.

وارتسم على وجهها تعبير حين رأته علم انه لن ينساه ولو عاش مئة سنة.

كانت نظرة غير متحفظة ومليئة بالحنان.

عاودته ذكرى قديمة، لحظة أطلّت من الماضي البعيد. كان أبوه قادماً من العمل بثيرته الأنيقة وأمه تركض لملاقاته، وقد ارتسم على وجهها التعبير ذاته الذي بدا على وجه شوشونا الآن. وتذكر كيف نظر والده إليها. فعلى الرغم من بزّته لم يكن في تلك اللحظة محارباً بل رجلاً مذهولاً تملأه الدهشة ويهذبه الحب.

في الأسابيع القليلة التالية، وعلى الرغم من اضطرار رونان لاجتياز صفوف صديقاتها في كل مرّة أراد فيها رؤيتها، أمضى كل لحظة ممكنة برفقتها. لحظات بسيطة حيث تنزّها معاً ممسكين بأيدي بعضهما وتناولا البيتزا وشربا القهوة في المقاهي. كانت لحظات بسيطة ممزوجة بأنوار خيالية رائعة.

وأدرك رونان أنه لو التزم بقوانين المهنة لأدى واجباته بشكل كامل في براناشا. لكان محترفاً، ولما سمح لنفسه أبداً بأن يتورط مع «موضوع المهمة» على المستوى الشخصي. لكنه كان ليفوت هذا كله: حلاوة الوقوع في الحب. إلاّ أنّ القدر أشفق عليه ومنحه ما هو بأمسّ الحاجة إليه على الرغم من جهله التام لتلك الحاجة وبالرغم من إنكاره القوي لها ومحاولته مقاومتها.

الوقوع في حب شوشونا أشبه بالاستيقاظ من حالة تنويم مغنطيسي عميق.

كانت أول من يخطر في باله كل صباح. شعر وكأنه يعيش في العالم ليجعلها تضحك، وليشعر بلمسة يدها، وليلاحظ نظراتها على وجهه، نظرات صريحة من دون تحفّظ من عينين جميلتين تخطفان الأنفاس.

لسبب ما، وقعت امرأة مثلها في حبه وهو الجندي الصلب. وقد

عزم على أن يستحق حبها.

* * *

نظرت شوشونا من حولها، وسمحت للهواء بأن يتلاعب بشعرها.

رأت عريشة من الورود ترتفع على الشاطئ وقد بدا من خلفها قصر براناشا الملكي المطلي بالأبيض. حاولا إبقاء الأمور بسيطة، ومع ذلك امتلأت الكراسي المثة بالمدعوين. وكانت موسيقى الناي الوحيد تتناغم مع موسيقى أمواج البحر التي تلثم رمال الشاطئ برفق.

لقد نجحت بيف، والدة جايك، في تخطّي خيبتها حين رفضا اللجوء إلى كل ما يوحي بالفخامة على الرغم من أنه زفاف ملكي وهو الأول لها. وفهمت شوشونا لما نجحت حماتها في عملها، إذ تمكّنت من قراءة ما في قلبيهما ومنحتهما ما يريدان تماماً: البساطة التي تعتمد على جمال المحيط بأمواجه المكللة بالزبد الأبيض ومياهه الزرقاء الشبيهة بالستارة.

ارتدت شوشونا ثوباً أبيض بسيطاً، لكنها بقيت حافية القدمين واكتفت بوردة وحيدة زينت بها شعرها.

وقفت تتأمل جايك وهو يظهر من بين الأشجار ويتقدّم على الرمال وشعرت بالدموع تملأ عينيها. ها هو محبوبها!.

كان غراي بيترسون برفقته تماماً كما حصل عندما رأته للمرّة الأولى. لكن جايك بدا هادئاً ومسترخياً هذه المرّة، كرجل مرتاح لوضعه بالرغم من البذلة الرسمية التي يرتديها ومراقبة الناس له. فهذا يوم زفافه.

كاد يمضي عام كامل منذ رأته، وستة أشهر منذ خرجت معه في موعد رسمي بعد أن تغلبت عليه في لعبة الشطرنج.

ومنذ ذلك الوقت، عرفا الكثير من الضحك وهما يكتشفان عالماً جديداً معاً، عالماً يتطلعان إليه من منظار الحب.

كان مليئاً بالمفاجآت. من كان ليظن أنه يخفي طبيعة رومنسية تحت هذا المظهر القاسي؟ كان يجب أن يشكل الهر الذي أهداها إياه أول إشارة إلى ذلك! كان يفاجئها دوماً بهدايا صغيرة مضحكة صادرة من أعماق قلبه، فجلب لها تاجاً من متجر ألعاب، وضوء ليزر يرشد الهر ويشتت تركيزه، وكتاب قصائد، وثوب سباحة زهري اللون سترتديه في شهر عسلهما. أما النظرة الحازمة فظلت كما هي، مجرد مظهر خارجي. لطالما ظنت أنه وسيم، لكن الخطوط العميقة على وجهه باتت أقل ظهوراً كما زال قناع القسوة من عينيه وخفّت حاجته للسيطرة على محيطه.

بدا جايك رونان مستمتعاً بكل لحظة من عدم السيطرة، ينتظر إلى أين قد تقوده الحياة والحب لو أعطاهما الفرصة.

وقد قاداه إلى هذا اليوم وهذه اللحظة حيث وقف عند عريشة الورود وعيناه تبحثان بين الأشجار إلى أن رآها فابتسم.

رأت في ابتسامته ترحيباً حاراً وإعجاباً وعهداً حميماً جعل قلبها يخفق بسرعة أكبر.

ثمة أمر واحد لم يختبراه معاً، فقد أثبت جايك رونان أنه شديد الانضباط في ما يتعلق بعلاقتهما الحميمة.

تعانقا أكثر من مرة طبعاً، لكنه كان يقول دوماً إن شرفه يمنعه من التمادي معها، إلى حين يتزوجان. وهي تثق ثقة عمياء بمسألة شرف الجندي!.

لكنها ستنام الليلة بين ذراعيه وسيكتشفان معاً عالماً أخّاذاً من الحميمية.

بعد حفل الاستقبال سيستقلان مركب جدها، ويذهبان إلى جزيرتهما. ستكون الجزيرة لهما فقط مرة أيضاً. الليلة الماضية، ورغم أنه لم يكن يفترض فيه أن يراها حتى اليوم التالي، تدبّر جايك أمر

www.elromancia.com

الوصول إليها مخترقاً صفوف الصديقات والعمات وبنات العم.

- جلبت لك هدية الزفاف.

قالت له بقليل من الاحتجاج: «لكن لا يفترض بك أن تكون هنا».

- أعرف لكني لم أستطع البقاء بعيداً. لم أتمكن من منع نفسي وأنا أعلم أنك هنا لا تبعدين عني سوى بضع دقائق. ها أنا أكثر الرجال انضباطاً في العالم عاجز أمامك، بل الأسوأ هو اني أحب عجزي هذا معك. أنت تجعلينني أرغب في أن أكون معك طوال الوقت، وتجعلين كل ما لا يتعلّق بك يبدو تافهاً ومملاً ومضيعة للوقت. أنت تجعلينني أشعر أن الدفاعات التي لطالما أقمتها حولي أبقتني أسيراً في عالم كنت أتمتع فيه بالقوة إنما أشعر فيه بوحدة قاتلة. لقد أنقذتني.

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: «رونان، لا يمكن لأي هدية أن تكون أجمل من تلك الكلمات».

ابتسم بشيء من المكر وقال: «لا يزال في داخلي ما يكفي من الجندي الذي لا يعتبر الكلمات هدية».

وفتح الباب وجلب ما تركه في الممر فانفجرت ضاحكة. هذا ما يفعله بها ولها، يحملها من حال ذرف الدموع إلى الضحك ويعيدها في ومضة عين.

لوح ركوب أمواج جديد ابتهجت لرؤيته، لكنها تمنت في الوقت ذاته ورغم حماسها حيال ركوب الأمواج ألاّ ترتفع هذه الأخيرة. تمنت ألا يخرجا من غرفة النوم أبداً في الأسبوعين التاليين فتملأ أحاسيسها منه وتشعر بكل نبض في قلبه وتستمتع بلمسات حبه. كانت تعرف أنها لن تشبع أبداً منه!

كانت شوشونان لا تزال تشعر باحمرار وجنتيها لجرأة أفكارها حين اقترب منها والداها، ليس بصفتهما الملكية بل كوالدين فخورين

بابنتهما.

وقبّلها كل واحد منهما على وجنتيها، ثم أخذا أماكنهما بين الحضور.

لقد أحب والدها جايك. أما أمها فكانت أكثر تحفظاً، لكن ما من أحد يتعرف إلى رونان إلاّ ويحبه.

كما صعقت والدتها من بساطة ترتيبات الزفاف، لكنها راحت هي وبيف تواسيان نفسيهما وقد أصبحتا صديقتين أثناء التحضير لزفاف ولديهما. واقترب منها جدها وتأبط ذراعها ثم ابتسم لها رغم دموع الفرح في عينيه.

تقدمت شوشونا على الرمال نحو حبيبها، جايك رونان. واستطاعت رؤية المستقبل كله في عينيه. ترك جدها ذراعها فمشت الخطوات الأخيرة وحدها، خطوات امرأة اختارت تماماً الحياة التي تريدها لنفسها.

راقب جايك شوشونا وهي تطأ الرمال البيضاء بقدميها وتقترب منه.

لقد اختارت أبسط أثواب الزفاف وأن تبقى حافية القدمين، لكن الجمال الذي تتمتع به جعل أمه ترى ان البساطة هي الطريقة الأفضل كي يشع جمالها.

وقف رونان بين أمه وزوجته المستقبلية يستمتع بأجمل أنواع الاستسلام. سيحميهما بحياته لو اضطر لذلك وهما تعرفان ذلك.

يوماً ما سيرزق بأولاد من شوشونا وسيعمل على حمايتهم هم أيضاً ويشملهم برعايته وانتباهه.

وشعر بالثقة بأنه سيفعل ما في وسعه من أجل هذه العائلة. لكن إن جفّ نبع قوته، فلديه ما يعتمد عليه. إنه الثقة بالمرأة التي تقترب منه.

كان يعلم أن ثمة قوى تحمل تسميات عظيمة، كقوة الكون أو الحياة أو الله.

أما هو فيعتمد على قوة الحب الذي أدرك أنه موجود في العالم قبل وجوده هو بزمن.

في وقت ما يدرك الرجل أن ثمة أمور كثيرة تخرج عن سيطرته، وأنه سيرهق نفسه ويستنزفها ويخسر قوته إذا ما بقي يظن أن العالم سينهار إن لم يسر وفقاً لإدارته.

وتوصل رونان إلى الإيمان بأنه يستطيع أن يتقبّل حماية واهتمام قوة أكبر منه.

إنها القوة ذاتها التي جمعت بين امرأة ورجل يفرّق بينهما التفاوت الطبقي والفروقات الاجتماعية والحضارية. إنها القوة التي تجعل قلباً يدق في تناغم مع قلب آخر.

إنها القوة التي ستحميهما وتحمي أولادهما في هذا العالم.

في مرحلة ما في حياته، ظن رونان أن الوقوف حيث يقف اليوم سيصيبه بالإغماء، لكن في الواقع لم يشعر قط بمثل هذا الهدوء والقوة وصوابية تصرفه وقراره. وأغرب ما في الأمر أنه وبالرغم من اعتراف رونان بعجزه أمام تلك القوة المسماة بالحب، ومع مرور الأيام في استسلام تام، كان يشعر أنه أكثر قوة وحياة وأكثر استرخاء وامتناناً.

كان هذا أكثر مما تاق إليه طيلة حياته، فلطالما حلم بأن يكون جزءاً من اللغز الرائع الذي يتدفق فيه ومن حوله تماماً كما تتدفق أمواج البحر. لقد تاق للتناغم مع تلك الطاقة العظيمة بسلاسة ومتعة تماماً كركوب الأمواج العاتية. لم يشأ أن يسيطر عليها بل أن يشعر بالتواصل معها.

راقب شوشونا تقترب وكاد ينفجر من الضحك فقد أدرك أن تلك القوة التي يسميها حباً تمتلك أروع روح نكتة في العالم.

ظن طويلاً أن وظيفته تقضي بإنقاذ الأميرة لكنه بات يدرك الآن أن العكس هو الصحيح، وأنها هي من أنقذه. إنّ السماح لها بأن تنقذه لم يجعل منه إنساناً أضعف بل أفضل.

وصلت إليه ونظرت في عينيه. هذه هي الامراة التي ستصبح أم أولاده ورفيقته وصديقته وحبيبته طوال أيام حياته.

قالت له بصوت يملؤه الإجلال: «حبيبي».

فقال لها وعيناه لا تفارقان وجهها: «قلبي وجد موطنه».

www.elromancia.com